الفصل الخامس
التأثير والتأثر في الحياة الثقافية في إقليم الصعد

obeikandl.com

الفصل الخامس

التأثير والتأثر فى الحياة الثقافية فى إقليم الصغد

التأثيرات العلمية

أولاً: تأثير إقليم الصغد كمركز ثقافى

اهتم أهل مدن الصغد بالعلم والتعلم، فهم أهل حضارة عريقة ورثوا الحضارة الفارسية وتأثروا بالحضارة الصينية[١] فقد اشتهروا بميلهم إلى العلم وتشجيعه وشغفهم الدائم بالاطلاع والدراسة وحبهم للرحلة فى سبيل العلم، حتى صار الإقليم قبلة يؤمها العلماء ويقصدها الأدباء من شتى البقاع.

كانت سمرقند عاصمة الصغد ذات أهمية عظمى إذ كانت مركزًا إسلاميًا وعلميًا قامت بتأدية رسالة الإسلام وخدمته على أحسن وجه، وكان لعلمائها أفضل نصيب فى نشر العلوم الإسلامية فى ربوع الأرض، ويكفى لفخرها وفضلها أنها زخرت بالكثير من العلماء الكبار[٢]. ونظرا لمكانة سمرقند العلمية فقد قصدها طلاب العلم من شتى أنحاء العالم الإسلامى للقاء مشايخها والدراسة عليهم، وحضور مجالس العلم والأدب واللغة والتاريخ فى مدارسها، وكان هؤلاء الطلبة يمكثون زمنا طويلا فى سمرقند للدراسة فلا يغادرونها حتى يحصلوا على الإجازات العلمية من علمائها، التى ترفع من شأنهم فى مجتمع أنظاره مشدودة إلى مهد الإسلام واللغة العربية[٣].

قد يكون من الإسهاب أن نذكر جميع العلماء وطلبة العلم الذين قدموا مدن الصغد من أنحاء العالم الإسلامى لطلب العلم، ولكن يكتف بذكر

---

(١) Saunders, The History of the Mongol Conquests ,p72

(٢) حسين مؤنس: المساجد، ص٢٨٣ .

(٣) جعفر ماجد: فصول فى الأدب والثقافة، ص١٣ .

أشهرهم باختصار كدليل لمكانة مدن الصغد الثقافية فى العالم الإسلامى، ونخص بالذكر الإمام الرحال أبو طاهر محمد بن أحمد بن على بن حمدان الخراسانى الحافظ (ت٤٤١هـ/ ١٠٤٩م) سمع بسمرقند من أبى سعد السمعانى، كما سمع بنيسابور وبالرى وبمرو[١] وأبو القاسم حمد ابن على بن محمد الطبرستانى (ت٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م) كان من كبار المحدثين، له رحلة واسعة إلى بلدان العالم الاسلامى، سمع بسمرقند من منصور الكاغدى، كما سمع بالرى و بالبصرة وبنيسابور[٢]

والإمام الحافظ الجوال أبو الوليد الحسن بن محمد بن عبد الرحمن البلخى (ت٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) سمع ببغداد ودمشق وبلخ ونيسابور وهراة، وطوف البلاد وحصل الأسانيد والغرائب ومات بسمرقند[٣]. والشيخ الإمام المحدث أبو مسلم عمر بن علىّ بن الليث الأصبهانى المفيد، الطواف (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) كان من كبار الرحالة سمع بسمرقند وبكش وبلخ، وغزنة ومرو[٤].

فضلا عن محمد بن محمد بن محمد أبو عبد الله، مجد الدين الختنى (ت٥٧٦هـ / ١١٨٠م) أحد علماء الحنفية، رحل فى طلب العلم إلى سمرقند وبخارى وخراسان، ثم رحل إلى البلاد الشامية والبلاد المصرية، وأقام بمصر ودرس بالمدرسة السوفية إلى أن مات بها[٥]. وأبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعانى (ت٦١٧هـ / ١٢٢٠م) الفقيه الشافعى

---

(١) أبو عبد الله الدمشقى: طبقات علماء الحديث، جـ٣، ص٣٠٥.

(٢) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٠،ص ٦١، ٦٢.

(٣) الذهبى: تذكرة الحفاظ، جـ٣، ص١١٥٥. أبو عبد الله الدمشقى: طبقات علماء الحديث، جـ٣، ص ٣٥٢، ٣٥٣.

(٤) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٩، ص٤٠٧.

(٥) القرشى: الجواهر المضية، جـ٣، ص٣٤٨. المقريزى: كتاب المقفى الكبير، جـ٧، ص٩١، ٩٢.

المحدث مسند خراسان، صحبه والده لسماع الحديث وطاف به بلاد خراسان وما وراء النهر وخاصة سمرقند وبخارى[1].

أما عن أهم علماء سمرقند الذين رُحل إليهم للحصول على الإجازات العلمية على بن محمد بن إسماعيل بن على بن أحمد بن محمد بن إسحاق الأسبيجابى السمرقندى شيخ الإسلام (ت٥٣٥هـ / ١١٤٠م) كان من كبار العلماء بسمرقند، ولم يكن أحدا ببلاد ما وراء النهر فى زمانه يحفظ مذهب أبى حنيفة ويعرفه مثله، قال السمعانى: كتب لى بالإجازة بجميع مسموعاته[2].

وقد قصد سمرقند العديد من العلماء وطلبة العلم من شتى بلدان العالم الإسلامى للحصول على الإجازات العلمية، ويضيق بنا المقام هنا أن نذكرهم جميعا، ولكن نقتصر على ذكر أشهرهم، ومنهم على سبيل المثال الشيخ أبو الفتح أحمد بن الحسين بن عبد الرحمن العبسى (ت٥٥٠هـ/ ١١٥٥م) سكن سمرقند، وسمع أبا المعالى محمد بن محمد بن زيد الحسينى الحافظ، ولكن ضاع أصل سماعه، ووجد السمعانى له إجازة بخط أبى المعالى فقرأ السمعانى عليه قريبا من عشرة كتب من تصانيف أبى المعالى[3]. وأبو محمد سراج الدين على بن عثمان الأوشى الفرغانى (ت٥٧٥هـ/ ١١٧٩م)، رحل فى طلب العلم إلى سمرقند، فدرس بها العلوم الشرعية على إمامين جليلين

---

(١) الذهبى: العبر فى خبر من غبر، جـ٣، ص١٧٤. ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٥، ص٧٦، ٧٥. عبد الصاحب عمران الدجيلى: أعلام العرب فى العلوم والفنون، ص٢٨١، ٢٨٢. ناجى معروف: عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية فى خراسان، جـ١، ص٤٧٠.

(٢) السمعانى: التحبير فى المعجم الكبير، جـ١، ص٥٧٨. القرشى: المصدر نفسه، جـ٢، ص٥٩١، ٥٩٢.

(٣) السمعانى: الأنساب، جـ٤، ص٣٥٣. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص٣٦٠

من علماء الحنفية: أحدهما العالم محمد بن عبد الحميد الأسمندى الذى سمع منه جامع الترمذى إجازة، والثانى محمد بن محمد بن زيد بن على بن موسى الشريف المرتضى أبو الحسن وأبو المعالى العلوى الحسنى، سمع منه كتاب الإقناع للمروزى[1].

كانت بلدان العالم الإسلامى تتلقى آثار الثقافة فى مدن الصغد بوسائل وطرق كثيرة أهمها وأعظمها أثرًا:

*** الكتاتيب**

قصد الكتاتيب عدد غير قليل من العلماء الذين قاموا بتعليم الصبيان فى مدن الصغد، ومن أشهرهم الأديب أبو الفضل محمد بن عمر بن محمد الجنبذى الذى تفقه على الإمام مسعود بن الحسين الكشانى، وكان يسكن سمرقند ويؤدب الصبيان بها، سمع منه السمعانى[2]. والشيخ أبو الحسن على بن محمد بن عمرو المؤدب الباركثى صاحب شرح المقامات، دخل سمرقند وحدث بها، توفى فى النصف الأول من (ق٦هـ/ ١٢م)[3]. والشيخ الفقيه الأديب الحجاج أبو الحسن على بن محمد بن أحمد السنى النسفى الكسبوى، دخل سمرقند وسمع بها الحديث، وكان مؤدب عمر النسفى، وتوفى سنة (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م)[4].

*** المساجد**

قامت المساجد بدور كبير فى إذكاء الحركة الثقافية، فكانت بحق قلبا نابضا بالتيارات الفكرية التى تغذى غيرها من بلدان العالم الإسلامى بالعلماء

---

(١) هشام نشابه: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، جـ٢، ص٥٦٣.

(٢) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ١، ص٢٩٤.

(٣) النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٥٤٨.

(٤) النسفى: المصدر نفسه، ص٥٧٢.

وجذبت إليها الطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامى، وممن اشتهر من العلماء بملازمتهم للتدريس والوعظ بالمساجد وكانت لهم حلقات علم، الشيخ الحاكم الإمام أبو الحسن على بن أحمد بن محمد ابن الحسن الاسترابادى كان من كبار أئمة الحديث بسمرقند، له مجلس إملاء بمسجد المنارة، توفى سنة (٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م)[١]. والشيخ أبو نصر سفيان بن عبد الله بن محمد بن أحمد السرخسى المدينى كان له مجلس إملاء بمسجد المنارة، توفى سنة (٤٣٢هـ/ ١٠٤٠ م)[٢]. وأبو القاسم على بن أحمد بن الحسينى بن محمد ابن الفارسى، له مجلس إملاء بمسجد المنارة، توفى سنة (٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م)[٣]. كما كان الحافظ أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن ريحان الترمذى من كبار أئمة الحديث، سكن سمرقند، وعقد مجالس الإملاء فى مسجد رأس سكة أبى عبد الرحمن فى سكة حائط كوسكان بسمرقند، توفى سنة (٤٤٧هـ / ١٠٥٥م)[٤]. وأبو حفص عمر بن منصور بن أحمد بن محمد بن منصور ابن موسى بن أفلح بن عمران البزاز الدهقان البخارى، كان من كبار الحفاظ حدث بمسجد المنارة بصحيح البخارى وكانت له حلقة إقراء بمسجد سكة مقاتل، وحضر حلقته أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن العباس بن إسماعيل بن أحمد المقرئ الهروى توفى الحافظ أبو حفص سنة (٤٦١هـ/ ١٠٦٨م)[٥].

*** المدارس**

ساعدت المدارس على نشر الثقافة فى أرجاء العالم الإسلامى، ولعبت

---

(١) النسفى: المصدر نفسه، ص٥٤٥.

(٢) النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٢٣٣.

(٣) النسفى: المصدر نفسه، ص٥٤٧.

(٤) النسفى: المصدر نفسه، ص٥٤٠.

(٥) النسفى: المصدر نفسه، ص٣٦٧، ٤٧٩.

على اختلاف أنواعها دورا مهما فى تنمية وتقدم الحركة الفكرية والعلمية فى إقليم الصغد، وساهمت فى إقامة الصرح العلمى ألذى تميزت به الحضارة الإسلامية خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، كما أمدت أجهزة الدولة بالعناصر المتعلمة المثقفة والتى كان لانضمامها إلى جهاز الدولة آثاره البعيدة على دقة التنظيم، علاوة على ذلك فان مدارس مدن الصغد أمدت المدارس الأخرى فى أنحاء العالم الإسلامى بعناصر مؤهلة من العلماء والأساتذة الكبار. وكان أشهرهم أبو القاسم على بن المظفر بن حمزة بن زيد الحسينى الشريف العلوى الدبوسى (٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م)[١].

وأبو الحسن على بن موجود بن الحسن الكشانى كان إماما فاضلا، تولى التدريس بالمدرسة الخاقانية بمرو، توفى سنة (٥٥٧هـ/ ١١٦٠م)[٢]. والشيخ حميد الدين السمرقندى كان من أشهر العلماء الذين تولوا التدريس بالمدرسة العذراوية بحارة الغرباء بدمشق[٣]، كما كان أول من درس بالمدرسة المبطورية بجبل الصالحية بدمشق[٤] وكان أيضًا أول من درس بالمدرسة الزنجارية، وظل بها إلى أن توفى سنة (٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م)[٥]. وكان هؤلاء العلماء قد قاموا بدور فعال فى التفاعل الثقافى بين المراكز الثقافية المختلفة التى اتجهوا إليها خلال فترة الدراسة.

والواقع أن إتاحة الفرصة للمسلمين أن يقبلوا فى أى مدرسة فى بلدان العالم الإسلامى كان له الأثر المحمود فى توحيد الفكر الإسلامى وزيادة الترابط الإنسانى مما أدى فى النهاية إلى احتكاك الأفكار وانصهارها جميعا فى

---

(١) عبد المجيد بدوى: التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى، ص١٨١.

(٢) السمعانى: الأنساب، جـ٥، ص٧٤.

(٣) النعيمى: الدارس فى تاريخ المدارس، ص ٣٧٣، ٥٤٩.

(٤) النعيمى: الدارس فى تاريخ المدارس، جـ١، ص٦٠٤

(٥) النعيمى: المصدر نفسه، جـ١،ص ٥٢٦، ٥٢٧.

بوتقة العلم لتبرز أفكار" مدروسة وآراء مجدية فى حقول العلم والأدب، ومن ثم ربطت هذه المدارس المسلمين برباط الثقافة[١].

*** الربط والخانقاوات**

ساهمت الربط مساهمة فعالة فى ازدهار الحركة الثقافية فى إقليم الصغد، حيث كانت أماكن للدراسة وبصفة خاصة فيما يتعلق بالعلوم الأساسية، كما كانت منازل للعلماء والطلاب الراحلين إلى بلاد ما وراء النهر ولاسيما سمرقند لطلب العلم أو نشره، وكان ذلك بدون شك مدعاة لاختلاط هؤلاء العلماء بعلماء الصغد فنقلوا عنهم الكثير كما كان سببا مباشرا للتواصل الفكرى والتأثير الثقافى المتبادل بينهم خلال العصر السلجوقى. وعلى سبيل المثال كان أبو سهل سعيد بن عمر بن محمد بن إبراهيم بن أبى أحمد بن أحمد بن الفضل العطار الصفار المحتسب الغزنوى، قد قدم سمرقند وأملى فى رباط المربع سنة (٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)[٢]. كما كان للفقيه مسعود بن منصور الأوشى الفرغانى (ت٥١٩هـ / ١١٢٥م) الساكن سمرقند، مجالس إملاء فى رباط حمزة[٣].

هكذا جذبت المؤسسات التعليمية الزاهرة فى مدن الصغد العلماء وطلاب العلم من جميع أنحاء العالم الإسلامى، واستطاعت أن تتخذ لنفسها موقعا حيويا فى نشر الصورة المشرقة لمدن الصغد، فكان ذلك بلا شك مدعاة لإيجاد حركة ثقافية دائبة نشيطة تتمثل فى الترابط الفكرى الذى ربط بين أبناء تلك المدن وأبناء المدن الإسلامية الأخرى .

---

(١) حسين أمين: المدارس الإسلامية فى العصر العباسى وأثرها فى تطور التعليم، المؤرخ العربى، ص١٠.

(٢) النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٢٠٤.

(٣) الذهبى: المشتبه فى الرجال، جـ١، ص٣٥. السمعانى: الأنساب، جـ١، ص٢٢٨، ٢٢٩.

كان تأثير النهضة الثقافية لمدن الصغد على الأقطار الإسلامية تأثيرا عميقا فى شتى نواحى الحياة وفيما يتصل بالمعارف والعلوم والفنون ولا شك أن وحدة الثقافة الدينية كانت مظهرا بالغ الأهمية من مظاهر التأثير والتأثر بين العلماء خلال فترة البحث:

علم القراءات:

قصد مدن الصغد العديد من العلماء لطلب علم القراءات، ونخص بالذكر أحمد بن على بن محمد بن يحيى بن الفرج الهاشمى البصرى الهبارى (ت٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) رحل فى طلب القراءات إلى العديد من البلدان الإسلامية فدخل بغداد وقرأ بها ودخل دمشق والعراق ثم جال فى خراسان وبلاد ما وراء النهر ودخل بخارى وسمرقند(١). وأبو نصْر أحمد بن محمد بن المؤيد القلاس المقرئ (ت٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م) نزيل سمرقند كان من أشهر المقرئين له مصنفات عديدة منها " تحفة الأخبار فى أقسام الأخبار"، "عدة السالكين وعمدة السائرين" و"المنية فى القراءات"(٢).

ومحمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن على بن لقمان النسفى المقرئ (ت٤٩٤هـ/ ١١٠٠م) نزيل سمرقند، وهو والد أبى حفص عمر(٣). كما يعد أبو الطيب طاهر بن محمد بن جعفر بن نصر بن عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عبد المنان بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد (ت٥٠١هـ/ ١١٠٧م) من القراء البارزين، سكن سمرقند، وكان ابنه محمد بن طاهر كذلك من كبار المقرئين بسمرقند(٤) والشيخ المقرئ أبو الحسن على ابن عبد

---

(١) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٣، ص ٣٥٢، ٣٥٣.

(٢) إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، جـ١، ص٨١.

(٣) الذهبى: المصدر نفسه، جـ٣٣، ص١٩٦.

(٤) النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٢٨٧.

الرحمن بن يوسف النسفى (ت٥١٧هـ/ ١١٢٣م) نزيل سمرقند[١]. وأبو سعيد هلال بن عبد الرحمن بن شريح بن عمر بن أحمد (٥١٩هـ/ ١١٢٥م) وهو من سلالة بلال ابن رباح مؤذن رسول الله طاف البلاد واستقر بسمرقند، سمع وقرأ القرآن، وكان شيخًا جهورى الصوت بالقرآن حسن النغمة بالأذان[٢].

كما كان محمد بن عمر بن عبد العزيز أبو بكر الحنفى المقرئ البخارى (ت٥٢٥هـ / ١١٣٠م) ويعرف بكاك، من أشهر المقرئين، سافر إلى البلاد وسمع بنيسابور وبخارى وسمرقند وهمدان وعاد إلى سمرقند فسكنها مدة ثم قدم بغداد وحج فى هذه السنة وحدث بالحرمين[٣].

علم التفسير:

ازدانت مدن الصغد بالعديد من علماء التفسير البارزين الذين أسدوا للحضارة الإسلامية مؤلفات جليلة أدت إلى ازدهار علم التفسير فى أرجاء العالم الإسلامى وآثروا المكتبة الإسلامية بمصنفاتهم. ويطالعنا فى مدن الصغد عدد" عظيم" من علماء التفسير الذين أفنوا أعمارهم فيه، من أجل تطوره وازدهاره[٤]. ومنهم على بن محمد بن عبد الكريم بن موسى البزدوى (ت٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م) نزيل سمرقند، له مصنفات كثيرة منها كتاب فى تفسير القرآن مائة وعشرون جزء كل جزء فى حجم مصحف[٥]. وأبو محمد أحمد

---

(١) النسفى: المصدر نفسه، ص٥٥٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٩، ص٢٣٤. النسفى: المصدر نفسه، ص١٠٨.

(٣) ابن الجوزى: المنتظم، جـ١٠، ص٢٤. سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، جـ٨، ص١٣٩. الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ٤، ص٢٤٣.

(٤) الاسنوى: طبقات الشافعية، جـ١، ص١٢٥. السمعانى: الأنساب، جـ١، ص٣٥٢. عماد الدين الاصفهانى: خريدة القصر وجريدة أهل العصر فى ذكر فضلاء أهل خراسان وهراة، ص١٠٨.

(٥) الزركشى: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكى، جـ١، ص٢٠١. اللكنوى: الفوائد البهية، ص١٢٤.

بن يعقوب بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف الروزبارى (٥٢٦هـ/ ١١٣١م) سكن سمرقند، وكان إماما مفسرا بارعا وهو تلميذ الشيخ الهروى المفسر روى تفسيره عنه[١].

علم الحديث

زخرت مدن الصغد بعدد لا يحصى من رجال الحديث الذين أفنوا أعمارهم فى جمعه وتصنيفه وضبطه وتنقيحه فخدموا العلم بجدهم وصبرهم على البحث. وكان المحدثون أنشط الطلاب على الرحيل فى طلب العلم وأصبرهم على عنائه[٢]. ومن ثم قامت صلة وثيقة بين كبار علماء الحديث فى الدولة الإسلامية بأسرها[٣]. ونخص بالذكر أحمد بن محمد بن الفضل الإمام أبو بكر الفسوى (ت٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م) كان من كبار علماء الحديث، رحل إلى العديد من البلدان الإسلامية فدخل نيسابور وقرأ الأصول على الإمام القشيرى ثم خرج إلى بلاد ما وراء النهر وسكن سمرقند إلى أن توفى[٤]. والشيخ الإمام الحافظ المصنف الثقة أبو الفتح محمد بن أحمد بن عبد الله بن سمكويه الأصبهانى (ت٤٨٢هـ /١٠٨٩م) كان من فرسان الحديث والمكثرين منه، رحل فى طلب الحديث فسمع ببغداد من أبى محمد الخلال وطبقته، وبسمرقند من مسندها عمر بن شاهين[٥]. وعلى بن محمد ابن عبد الكريم بن موسى البزدوى (ت٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م)، نزيل سمرقند، من

---

(١) السمعانى: المصدر نفسه، جـ٣، ص١٠١.

(٢) حسن عبد الحميد ومحمود عرفة محمود: معالم تاريخ الحضارة العربية، ص٢٨١. عبد البارى محمد الطاهر: خراسان وما وراء النهر، ص١٤٦.

(٣) البغدادى: تاريخ بغداد، جـ١١، ص٣٤٢. الذهبى: المشتبه فى الرجال، جـ١، ص٢٤٢.

(٤) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٢،ص ١٤٨.

(٥) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٩، ص ١٦، ١٧.

المحدثين الكبار لـه تصانيف كثيرة منها "شرح الجامع الصحيح للبخارى"[1].

وأبو بكر محمد بن أحمد بن ماناز بن أميرك بن شاه ابن نصر بن الشعبى بن سمعان النسفى الكبندوى (ت٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م) سكن سمرقند، وكان حريصًا على طلب العلم، سمع بسمرقند الكثير من الأحاديث، واسمع، ووعظ مدة فى محلة نهر القصارين، وسمع كتاب الجامع الصحيح لعمر بن محمد البجيرى، من أبى نصر بن الجبار البلدى وغيره بنسف[2].

وأبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أبى النضر البلدى الإمام المحدث المشهور (ت٥٠٤هـ/ ١١١٠م) من أهل نسف، سكن سمرقند، رحل إلى العديد من البلاد سمع أبا العباس المستغفرى، وابنه أبا ذر محمد بن جعفر وجماعة أخرى، روى عنه أكثر من عشرين شخصا ببخارى وسمرقند، وحدث بالكتب الكبار مثل الجامع الصحيح لأبى حفص عمر بن محمد البجيرى[3].

كما كان أبو الخير دلف بن عبد الله بن محمد بن عمر بن التبان البغدادى (ت٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) له رحلة واسعة إلى بلدان العالم الإسلامى، واستقر بسمرقند، وسمع بها من محمد بن نصر بن منصور المدينى ومحمود ابن على النسفى، وحدث بها، وروى عنه أبو المظفر بن السمعانى فى مشيخته وأبو بكر الفرغانى خطيب سمرقند[4]. وأبو الحسن على بن محمد بن حمزة بن محمد الفلكى الأصبهانى (ت٥٥٠هـ / ١١٥٥م) شيخ صالح سديد السيرة

---

(١) الزركشى: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكى، ص٢٠١. اللكنوى: الفوائد البهية، ص١٢٥.

(٢) السمعانى: الأنساب، جـ٥، ص ٢٧، ٢٨. النسفى: القند فى ذكر علماء سمزقند، ص١٠٤

(٣) السمعانى: المصدر نفسه، جـ١، ص٣٩٠.

(٤) الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ١٤، ص٢٧.

حافظ القرآن الكريم قال السمعانى: قدم علينا سمرقند وذكر لى أنه سمع كتاب الحلية لأبى نعيم الحافظ عن أبى على الحسن بن أحمد الحداد عنه، وقال: سمعت كتاب المعجم الصغير لأبى القاسم الطبرانى بروايته عن أبى على الحداد وسمع مع السمعانى الحديث بمكة ثم عاد من سمرقند إلى وطنه[1]. وأبو محمد سراج الدين على ابن عثمان الاوشى الفرغانى (ت٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) من المحدثين المشهورين، حدث عن شيخ الإسلام نصير الدين أبى عبد الله محمد بن سليمان الاوشى، سمع منه طبقات أبى بكر محمد الطوسى ثم جمع من مروياته مسند أنس بن ملك بإسناد واحد، ثم رحل إلى سمرقند، وسمع بها جامع الترمذى إجازة من العالم محمد بن عبد الحميد الاسمندى، وغريب الحديث لأبى عبيد، كما سمع صحيح البخارى عن الإمام ظهير الدين أبى المحاسن حسن بن على ابن عبد العزيز البخارى، وصنف سراج الدين مصنفات جيدة فى الحديث[2].

الفقه:

وفيما يتعلق بعلم الفقه فى مدن الصغد فقد احتل علمائه مكان الصدارة فى أنحاء العالم الإسلامى ومن ثم قصد مدن الصغد العديد من العلماء لينالوا هذه الحظوة، ومنهم الحاكم أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن الحسن الاسترابادى (ت٤٣٢هـ / ١٠٤٠م) كان من كبار أئمة علماء الفقه الشافعى، قال السلفى: " كان له الدرس والفتوى ومجلس النظر والتوسط فى سمرقند[3]. والقاضى أبو نصر أحمد بن نصر الاسبيجابى (ت٤٨٠هـ

---

(١) السمعانى: الأنساب، جـ٤، ص٤٠٠

(٢) هشام نشابه: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، جـ٢، ص ٥٦٣، ٥٦٤.

(٣) الاسنوى: طبقات الشافعية، جـ١، ص٥٣. ابن الصلاح: طبقات الفقهاء الشافعية، جـ٢، ص٦٠١. ابن كثير: طبقات الفقهاء الشافعيين، جـ١، ص٣٩٦. النووى: مختصر طبقات الفقهاء، ص٥٠٣، ٥٠٤. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٥٤٥.

/ ١٠٨٧م) أحد شراح مختصر الطحاوى، كان من المتبحرين فى الفقه، سكن سمرقند وجلس للفتوى وصار المرجع إليه فى الوقائع وانتظمت له الأمور الدينية وظهرت له الآثار الجميلة[١].

كما كان العلامة شيخ الحنفية أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم البزدوى (ت٤٩٣هـ/ ١٠٩٩) إمام الأئمة على الإطلاق والموفود إليه من الآفاق، انتهت إليه رئاسة الحنفية فى بلاد ما وراء النهر، وولى قضاء سمرقند، ودرس الفقه على أيدى كبار علماء عصره، وتفقه عليه علاء الدين محمد السمرقندى، وكثرت تصانيفه فى الفقه الحنفى، ومنها: المبسوط فى فروع الفقه فى مجلدات، وطلبة الطلبة، وكتاب فيه معرفة الحجج الشرعية[٢]. وأبو الحسن إدريس بن حمزة بن على الرملى الفقيه الشافعى (ت٥٠٤هـ/ ١١١٠م) كان من أهل الرملة بفلسطين، تفقه على أبى الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى وعلى الشيخ أبى إسحاق الشيرازى، رحل فى طلب العلم إلى بلاد ما وراء النهر وسكن سمرقند، وفوض إليه التدريس بها لأصحاب الشافعى، وكان علماء سمرقند يفخمون أمره ويذكرونه بالتعظيم، ويهابون الكلام معه فى المسائل لفصاحته وفضله وحرمته[٣].

---

(١) القرشى: الجواهر المضية، جـ١، ص٣٣٥، ٣٣٦. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص٥٤. التميمى: الطبقات السنية، جـ٢، ص ١١١، ١١٢.

(٢) البزدوى: كتاب فيه معرفة الحجج الشرعية، ص١. الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٩، ص٤٩. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص٨٦. القرشى: الجواهر المضية، جـ٤، ص٩٨، ٩٩. اللكنوى: الفوائد البهية، ص١٢٥. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در ايران، جلد دوم، ص٢٦٣. الزركلى: الأعلام، جـ٧، ص٢٢

(٣) ابن الاثير: الكامل فى التاريخ، جـ٩، ص١٤٢. ابن الجوزى: المنتظم، جـ٩، ص١٦٧، ١٦٨. ابن الصلاح الشهرزورى: طبقات الفقهاء الشافعية، جـ٢، ص٧٢٣. ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص١٧٢. عبد المجيد بدوى: التاريخ السياسى والفكرى، ص١٩٠.

والفقيه شمس الأئمة أبو الفضل بكر بن محمد الأنصارى الجابرى (ت٥١٢هـ/ ١١١٨م) قدم سمرقند، وصار شيخ الحنفية ببلاد ما وراء النهر، وكان يضرب به المثل فى حفظ مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة، حتى سمى أبا حنيفة الأصغر، وكان تلميذ أبى محمد عبد العزيز الحلوانى[١]. والإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن فاعل السرخكثى الفقيه الحنفى (ت٥١٨هـ / ١١٢٤م) من الفقهاء البارزين، تفقه بسمرقند ثم ببخارى، سمع أبا المعالى محمد بن محمد بن زيد الحسينى، وروى عنه كثيرون[٢].

والإمام الفقيه أبو على الحسين بن الخليل بن أحمد بن محمد النسفى (ت٥٣٣هـ / ١١٣٨م) نزيل سمرقند، رحل فى طلب العلم إلى بلدان العالم الإسلامى، فتفقه ببخارى على الخطاب محمد بن إبراهيم الكعبى القاضى، وببلخ على الإمام أبى حامد الشجاعى، ودخل بغداد حاجا وحدث بها عن البخارى ثم استقر بسمرقند وكان له يد باسطة فى النظر[٣].

كما كان برهان الأئمة أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة المعروف بالصدر الشهيد (ت٥٣٦هـ/ ١١٤١م) من أكابر الحنفية ببلاد ما وراء النهر، رحل فى طلب العلم إلى بلدان العالم الإسلامى واجتهد إلى أن صار أوحد عصره فى علم النظر، وحاز قصب السبق على أقرانه، وناظر الخصوم والكبار بخراسان والعراق، وارتفع أمره ببلاد ما وراء النهر إلى أن صار السلطان يصدر عن رأيه ويتلقى إشارته بالقبول، وعاش فى حرمة وافرة إلى

---

(١) الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ١٠، ٢١٨،٢١٧. اليافعى: مرآة الجنان، جـ٣، ص٢٠٣.

(٢) ابن الاثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ٢، ص١١٣. السمعانى: الأنساب، جـ٣، ص٢٤٥. القرشى: الجواهر المضية، جـ٣، ص ١٩١، ١٩٢ إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، جـ٢، ص٨٤.

(٣) تقى الدين التميمى: الطبقات السنية، جـ١، ص١٣٢.

أن رزقه الله الشهادة فى معركة قطوان بسمرقند[١] ومن أهم مؤلفاته: الجامع الصغير، كتاب المطول، كتاب الفتاوى الصغرى، كتاب الفتاوى الكبرى، الواقعات الحسامية فى مذهب الحنفية، حالات وأحكام فقهية مقسمة على الأبواب المألوفة للفروع، كتاب عمدة الفتاوى، كتاب الفتاوى الخاصية، خبرات الفقهاء، شرح أدب القاضى للحصاف[٢].

علم التصوف

حظى شيوخ الصوفية بالإجلال والتعظيم، وارتفع شأنهم وعظم تأثيرهم فى حياة الناس، وأصبح التصوف علما مدونا له علماؤه الذين ينشرون مبادئه وتعاليمه فى شتى بلدان العالم الإسلامى مما أوجد تواصل فكرى بين علماء التصوف، ونخص بالذكر أبو بشر عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد بن هارون النيسابورى الصوفى (ت٤٣٥هـ / ١٠٤٣م) نزيل سمرقند، كان له بها أمالى[٣]. والشيخ أبو محمد عبد الخالق بن أبى مالك البلخى الصوفى (ت٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) دخل سمرقند وحدث بها[٤]. وكذلك الشيخ أبو الوليد الحسن بن محمد بن على بن محمد الدربندى البلخى المحدث الصوفى (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) كان أحد المشايخ المشهورين الجوالين فى طلب الحديث، قدم نيسابور، ودخل سمرقند وتوفى بها[٥].

---

(١) الأسنوى: طبقات الشافعية، جـ١، ص٢٠٨. الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ٢٢، ص٥١٠. ابن الصلاح الشهرزورى: طبقات الفقهاء الشافعية، جـ٢، ص٨٢٢. ابن فضل الله العمرى: مسالك الابصار، جـ٦، ص١٠٢. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٥٩. محمد محروس عبد اللطيف: مشايخ بلخ من الحنفية وما انفردوا به من المسائل الفقهية، جـ١، ص٢٢١.

(٢) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، جـ٦، ص٢٩٤. الزركلى: الأعلام، جـ٥، ص٥١.

(٣) النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٣٣٨.

(٤) النسفى: المصدر نفسه، ص٣٨٧.

(٥) ناجى معروف: مدارس قبل النظامية، ص٢٩.

والشيخ أبو يعقوب يوسف بن أيوب بن الحسن الهمذانى الزاهد (ت٥٣٥هـ/ ١١٤٠م) شيخ الصوفية بمرو وبقية مشايخ الطريق العاملين، رحل فى طلب العلم إلى سمرقند وبخارى وأصبهان، وله مؤلفات جليلة منها كتاب منازل السالكين، وكتاب زينة الحياة[١]. والشيخ أبو محمد مظهر الدين محمود بن محمد بن العباس بن أرسلان الخوارزمى صاحب الكافى فى الفقه (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) كان إماما فى التصوف، رحل فى طلب العلم إلى سمرقند وسمع بها أحمد بن عبد الواحد الفارسى[٢].

ثانيًا: التأثير والتأثر بين مدن الصغد وبلدان العالم الإسلامى

كانت الرحلة فى طلب العلم من سمات الحياة العلمية فى مدن الصغد خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى، وقد ساعد على تيسير هذه الرحلة عدم وجود أى حواجز بين أقطار العالم الإسلامى، حيث كانت البلاد الإسلامية وحدة ثقافية واحدة[٣] رغم التفكك والانحلال السياسى للدولة الإسلامية؛ فبفضل تنافس دول الإسلام تعددت البيئات الفكرية وأصبح لكل دولة إسلامية شهرة فى ناحية خاصة من الثقافة، ولم تمنع الخصومات السياسية بين الدول التعاون الثقافى[٤]. ولاشك أن وحدة اللغة والدين فى

---

(١) الذهبى: العبر فى خبر من غبر، جـ٢، ص٤٤٩. ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٤، ص١١٠. حسن مينوجهر: كارنامه بزركان إيران، ص ١٨٥، ١٨٦. الزركلى: الأعلام، جـ٨، ص٢١٩، ٢٢٠.

(٢) السبكى: طبقات الشافية الكبرى، جـ٧، ص٢٨٩.

(٣) عبد البارى محمد الطاهر: خراسان وما وراء النهر، ص١٤٤. منيرة ناجى سالم: تاج الإسلام أبو سعد السمعانى وكتابه التحبير فى المعجم الكبير، ص٤٣٠.

(٤) الحسين بن رشيق المالكى: لباب المحصول فى علم الأصول، جـ١، ص٣٨. عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٥٢. على حبيبة: العباسيون فى التاريخ، ص٢٦٤.

جميع أنحاء العالم الإسلامى ساعدت على نشاط التبادل الفكرى وانتقال العلماء[١].

وللرحلة فى طلب العلم فوائد جمة منها التمكن من الجوانب العلمية لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ والتلقى عن الرجال[٢]، ونشر العلم الذى حصله العالم واتساع الثقافة العامة، وكسب صداقات جديدة خالصة[٣].

كان للشغف العلمى الشديد أثره الواضح فى دفع العلماء فى مدن الصغد وسائر مدن العالم الإسلامى إلى الرحلة من بلد إلى بلد طلبا للعلم إيمانا منهم بأن العلم لا وطن له ولا نهاية له، وأن العالم مهما بلغ علمه وارتفع شأنه فسيجد عند غيره فوائد أو زوائد، قد لا تكون عنده[٤]، بل إن أهم أسس تقييم العالم كان حجم رحلته العلمية مكانا وزمانًا، وعدد شيوخه وإجازاته من أئمة العلم فى بلدان العالم المختلفة. وصارت المصنفات العلمية والأدبية تنتقل بين بلدان العالم الإسلامى فى سهولة ويسر مع طلاب العلم. مما يجعل من الصعب التحديد الدقيق لمواطن التأثير والتأثر بين علماء بلد إسلامى والبلاد الأخرى.

وكان طلبة العلم فى سمرقند أثناء رحلاتهم يدرسون ويتلقون عن الشيوخ ويجتمعون بالعلماء. ومن أبرز الأمثلة على التواصل الفكرى والتأثير

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور: المدنية الإسلامية، ص٨٧. منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص٦٧.

(٢) الشاشى: حلية العلماء فى معرفة مذاهب الفقهاء، جـ١، ص٢١. عمر فروخ: عبقرية العرب فى العلم والفلسفة، ص٩٣.

(٣) الخطيب البغدادى: الرحلة فى طلب الحديث، ص٢٥ - ٢٧. أحمد فؤاد الأهوانى: التربية فى الإسلام، ص٦٣.

(٤) الجوينى: الدرة المضية فيما وقع فيه الخلاف بين الشافعية والحنفية، ص٣٦.

الثقافى المتبادل بين علماء مدن الصغد وأقطار العالم الإسلامى تلك الرحلات التى قام بها علماء مدن الصغد إلى بلدان العالم الإسلامى ونخص بالذكر الإمام الحافظ الرحال أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد ابن قاسم بن جعفر السمرقندى (ت٤٩١هـ/ ١٠٩٧م) صحب الحافظ جعفر بن محمد المستغفرى، وسمع ببخارى وبلخ ونيسابور، ولقى كثيرا من المشايخ فى هذه المدن، وأخذ منهم، ومن تصانيفه كتاب بحر الأسانيد فى صحاح المسانيد[١]. ومحمد بن محمد بن أيوب أبو محمد القطوانى (ت٥٠٦هـ / ١١١٢م) من أهل سمرقند سافر البلدان وسمع الكثير، وكان إمامًا واعظًا له القبول بين الخواص والعوام[٢].

كان للترابط الفكرى بين علماء القراءات فى مدن الصغد والدولة الإسلامية أثره البالغ على ازدهار الثقافة الإسلامية بصفة عامة، ويكفى لبيان هذا التواصل الفكرى إسهامات العلماء الرائعة فى هذا العلم ومنهم أبو نصر منصور بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله السمرقندى المقرئ من أشهر قراء عصره (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) كان يعرف بالعراقى لكثرة مقامه بالعراق وسفره إليها، وكان من القراء المجودين، رحل فى طلبها إلى العراق والحجاز وأدرك الشيوخ من القراء، وقرأ عليهم القرآن ورجع إلى بلاد ما وراء النهر وصنف التصانيف القيمة فى القراءات، ومنها كتاب "الوقوف" وأيضا الكتاب الذى رآه السمعانى ووصفه بأنه غاية فى الإحسان وأورد فيه الروايات وذكر القراء سبعا[٣] وأبو بكر أحمد بن عمر بن الأشعث السمرقندى المقرئ (ت٤٨٩هـ

---

(١) الذهبى: تذكرة الحفاظ، جـ٤، ص ١٢٣٠، ١٢٣١. السيوطى: طبقات الحفاظ، ص٤٥٠. الصيريفينى: تاريخ نيسابور المنتخب من السياق، ص٢٨٢.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، جـ٩، ص ١٧٢، ١٧٣. سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، جـ٨، القسم١، ص٤٣.

(٣) السمعانى: الأنساب، جـ٤، ص ١٧٥، ١٧٦.

/ ١٠٩٥م) نزيل دمشق ثم نزيل بغداد، روى عنه ابنه أبو القاسم إسماعيل السمرقندى، وكان محمودا متقنا عارفا بالروايات محققا فى الأخذ وكان يكتب على طريقة الكوفيين وقرأ على أبى على الأهوازى (ت٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م) الذى كان أشهر قراء عصره، وكان أعلى من بقى فى الدنيا إسنادا فى القراءات، عنى من صغره بالروايات والأداء وقرأ لعاصم وأبى حفص، ورحل إليه القراء لتبحره فى الفن وعلو إسناده(١).

وشهاب الدين أبو أحمد محمد بن عمر الخالدى الجنبذى السمرقندى شيخ الإقراء بسمرقند قرأ بالروايات على والده، وكان عارفا بالمشهور والشاذ، سمع من أبى سعد السمعانى، روى عنه ابنه المقرئ شمس الدين أبو محمود محمد وأبو رشيد الغزال(٢). ومحمد بن محمود بن محمد على (ت٥٥٦هـ/ ١١٦٠م) سبط ناصر الدين أبى القاسم السمرقندى، له المصنفات الكثيرة فى علم القراءات منها " الخلافات بين شعبة وحفص "الروايتين لعاصم، و"تجويد الفاتحة والتوحيد" و"إيضاح الخوالق فى رسم المصاحف"، "روح المريد فى شرح عقد الفريد"، "عقد الفريد فى علم التجويد"، "كتاب التسجير على طريق التشجير فى علم القراءات" و"المبسوط والمضبوط فى القراءات السبعة فارسى"(٣) والقراءات السبع فى ثلاثة كتب(٤).

(١) ابن الجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء، جـ١، ص٩٢. ابن الجوزى: المنتظم، جـ٩، ص٩٨. الدمياطى: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، جـ٢، ص٦٤. الذهبى: معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار، ص٣٢٢ - ٣٢٤. الصالحى: طبقات علماء الحديث، جـ٣، ص٤١٧.

(٢) ابن الجزرى: المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٤٦. ابن حجر العسقلانى: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، جـ١، ص٣٦١. الذهبى: المشتبه فى الرجال، جـ١، ص١٨٣. السمعانى: الأنساب، جـ٢، ص٩١.

(٣) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص٢٠٩. إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، جـ٢، ص١٠٦.

(٤) آقا بزرك الطهرانى: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، جـ١٩، ص٥٥.

كما كان للتفاعل الثقافى بين علماء التفسير فى مدن الصغد والدولة الإسلامية أثره البالغ على ازدهار الثقافة الإسلامية ومن هؤلاء العلماء شمس الدين محمد السمرقندى (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م) صنف كتابا فى التفسير ومات قبل أن يتمه، فأتمه الشيخ أحمد بن محمود الفرغانى الأصم (ت٩٧١هـ/ ١٥٦٣م)[١]. ومحمد بن عثمان بن محمد حسام الدين العلىابادى السمرقندى (ت٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م) كان من أشهر علماء التفسير فى سمرقند له مصنفات قيمة منها "مطلع المعانى ومنبع المبانى فى تفسير القرآن فى مجلدات"[٢]. وكانت تلك المصنفات تنتقل بين المدن الاسلامية فى سهولة ويسر مع طلاب العلم مما كان له كبير الأثر فى ازدياد التفاعل الثقافى بين العلماء خلال فترة البحث.

أما الترابط الفكرى بين علماء الحديث فى مدن الصغد والدولة الإسلامية فيتجلى أثره البالغ على ازدهار الثقافة من خلال إسهامات العلماء القيمة فى هذا العلم ومنهم أبو الحسن العربى على بن إبراهيم بن نصرويه بن سختام بن هرثمة بن إسحاق بن عبد الله ابن إبراهيم أسكر بن كاك العربى السمرقندى (ت٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م) كان من أشهر علماء الحديث، له رحلة واسعة إلى بلدان العالم الإسلامى، قدم بغداد حاجا وحدث بها عن محمد ابن أحمد بن مت الاشتيخنى، وإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن يزداذ الرازى[٣]. وأبو حفص عمر بن أحمد بن محمد بن حسن بن شاهين السمرقندى (ت٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م) مسند تلك الديار كان واسع الرحلة إلى بلدان العالم الإسلامى وسمع مشاهير المشايخ، روى عنه أهل سمرقند[٤].

---

(١) حاجى خليفه: كشف الظنون، جـ٢، ص٢٠٧٤.

(٢) إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، جـ٢، ص١١٢. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مج٣، ص٤٨٣.

(٣) البغدادى: تاريخ بغداد، جـ١١، ص٣٤٢. الذهبى: المشتبه فى الرجال، جـ١، ص٢٤٢.

(٤) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٨، ص١٢٧. السمعانى: الأنساب، جـ٣، ص٣٩٠.

ونصر بن إبراهيم السلطان شمس الملك (ت٤٩٢هـ/١٠٩٨م) صاحب ما وراء النهر من أفاضل الملوك، حدث وأملى وخطب على منبرى بخارى وسمرقند[١] والحافظ أبو محمد عبد الله بن أبى الأشعث السمرقندى (ت٥١٦هـ/١١٢٢م) له رحلة واسعة، دخل نيسابور واصبهان وعنى بالحديث وله مصنفات كثيرة، وكان ذا فهم ودراية مع الإتقان والتحرى وخرج لنفسه معجما فى مجلد، وكان من الثقات النقاد[٢]. والإمام الحافظ المسند أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبى الأشعث السمرقندى (ت٥٣٦هـ/١١٤١م) كان من أشهر المحدثين والرحالة فى عصره، سمع من شيوخ دمشق ثم قدم بغداد فسمع ابن النقور والصريفينى وسمع بالقدس من مكى الرميلى، وحدث بدمشق فى دار الحسن ابن أبى الحديد، كان ثقة قال السلفى: "ثقة له أنس بمعرفة الرجال، وقال السمعانى: قرأت عليه الكتب الكبار والأجزاء وأملى بجامع المنصور أزيد من ثلاثمائة مجلس فى الجمعات بعد الصلاة، وقال ابن الجوزى: " انفرد بأشياخ لم يبق من يروى عنهم غيره وكان مكثراً فيه عاش إلى أن خلت بغداد وصار محدثها، حتى صار يطلب أجرا على التسميع بعد حرصه على التحديث، وقال أبو القاسم: ما بقى أحد يروى معجم ابن جميع غيرى، ولا عند عبد الهلالى، ومن تلامذته أبو طاهر السلفى، وابن عساكر الدمشقى، وأبو سعد السمعانى[٣].

---

(١) الزركلى: ترتيب الأعلام على الأعوام، مج١، ص٣٤٨.

(٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٩، ص ٤٦٥، ٤٦٦. الصالحى: طبقات علماء الحديث، جـ٤، ص٣٦. الصريفينى: تاريخ نيسابور المنتخب من السياق، ص٤٥٦. ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٤، ص٤٩.

(٣) ابن الجوزى: أعمار الأعيان، ص٦٥. الظاهرى الحنفى: مشيخة ابن البخارى، ص٢٠٠. ابن الصابونى: تكملة إكمال الإكمال فى الأنساب والأسماء والألقاب، ص٦٤. أبو القاسم إسماعيل السمرقندى: ما قرب سنده من حديث، ص٥ - ٨.

ونجم الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن على ابن لقمان النسفى السمرقندى (ت٥٣٧هـ/ ١١٤٢م) كان من أصحاب الحديث، حدث عن إسماعيل بن محمد النوحى وعلى بن الحسن الماتريدى وأبى محمد الحسن بن أحمد السمرقندى ومهدى بن محمد العلوى وعبد الله بن على النسفى وأبى اليسر محمد بن محمد النسفى، وحدث بكتاب تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار من جمعه، وروى فيه عن عامة مشايخه ومستجازاته ومتناولاته عن جميع مشايخه، وقام " بشرح كتاب صحيح البخارى وسماه النجاح فى شرح كتاب أخبار الصحاح "، وذكر أنه خرج تسعة وعشرين حديثا عن تسعة وعشرين شيخا كل شيخ حديث، أجاز للسمعانى جميع مروياته، وروى عنه ابنه أبى الليث أحمد بن عمر(١).

كما كانت أم الحسن كمال بنت عبد الله بن أحمد السمرقندى (ت٥٥٨هـ / ١١٦٢م) من أشهر علماء الحديث، وهى زوجة المحدث عبد الخالق اليوسفى، حدثت عن أبى عبد الله الحسين بن أحمد بن طلحة النعالى وطراد بن محمد الزينى مسند العراق، وحدث عنها إبراهيم بن برهان النساج، وقرئ عليها الجزء الثانى من أمالى إسماعيل المحاملى وسمع عليها الجزء السادس والسابع والثامن من حديث المحاملى بسماعها من عمر بن على الطوسى(٢).

ظهر خلال العصر السلجوقى فى مدن الصغد عدد عظيم من كبار علماء الفقه الذين أسدوا للثقافة الإسلامية خدمات جليلة بجدهم وصبرهم على

---

(١) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ٢٠، ص١٢٦. عماد الدين الاصفهانى: خريدة القصر وجريدة العصر، جـ٢، ص١٢٠. ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، جـ٦، ص ١٠٣، ١٠٤. النسفى: العقائد النسفية، ص٩.

(٢) الذهبى: المشتبة فى الرجال، جـ١ ص٢٣٥. عمر رضا كحالة: أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام، جـ٤، ص٢٦٢.

البحث ورحلتهم إلى منابع العلم يأخذونه من أهله حيث كان. ومن أهمهم الشيخ الإمام الخطيب الحافظ أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد ابن المستغفر النسفى السمرقندى المستغفرى (ت٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م) لم يكن ببلاد ما وراء النهر فى عصره مثله، رحل فى طلب العلم إلى خراسان، وأقام بسرخس ومرو مدة، صنف التصانيف القيمة منها: كتاب طب النبى، الدعوات، معرفة الصحابة، فضائل القرآن دلائل النبوة، الشمائل، المنامات[1].

وشيخ الإسلام أبو الحسن على بن حسين بن محمد السغدى (ت٤٦١هـ/ ١٠٦٨م) كان من أئمة علماء الفقه، إماما فاضلا وفقيها مناظراً، سكن بخارى، وتصدر للإفتاء، وولى القضاء، وانتهت إليه رياسة الحنفية، ورُحل إليه فى النوازل والواقعات، أخذ الفقه عن شمس الأئمة السرخسى وروى عنه شرح السير الكبير، ومن تصانيفه النتف فى الفتاوى، شرح الجامع الكبير للشيبانى فى فروع الفقه الحنفى[2].

وأبو القاسم على بن المظفر بن زيد بن حمزة بن محمد العلوى الحسينى بن أبى يعلى الدبوسى (ت٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م) كان من كبار أئمة الشافعية، متوحدا متفرداً فى الفقه، قدم بغداد وولى التدريس بنظامية بغداد، تفقه عليه جماعة من البغداديين، ومن الغرباء وأملى ببغداد مجالس، سمع أبا عمر بن عبد العزيز القنطرى، وروى عنه عبد الوهاب الانماطى، وأبو الفضل محمد

---

(١) القرشى: الجواهر المضية، جـ٢، ص١٩. السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة، مج٤، ص١٨٣. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص١٧.

(٢) القارى: طبقات الحنفية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، ص٣٧. ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ٢، ص١٢٠. اللكنوى: الفوائد البهية، ص١٢١. إسماعيل باشا: هدية العارفين، جـ١، ص٦٤٨..

ابن أبى الفضل المسعودى وآخرون[1]. وشيخ الإسلام خواهر زاده أبو محمد ابن الحسن البخارى السمرقندى (ت٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) كان شيخ الأحناف ببلاد ما وراء النهر، وطريقته أبسط طريقة للأصحاب، أخذ عن خاله أبى ثابت وعن أبى الفضل منصور ابن نصر الكاغدى، وروى عنه أبو عمر عثمان ابن على بن محمد البيكندى ومن مؤلفاته: المختصر، التجنيس، المبسوط[2].

تجدر الإشارة هنا إلى أنه كان للنساء مشاركة فعالة فى ميدان العلوم الدينية حيث ظهر فى هذا العصر عالمات أسهمن فى تقدم علم الفقه ليس فى مدن الصغد فحسب ولكن فى أنحاء الدولة الإسلامية، فكانت فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندى مؤلف التحفة (ت٥٧٦هـ/ ١١٨٠م) عالمة فاضلة فقيهة محدثة ذات خط جميل، تفقهت على أبيها وحفظت التحفة، وكانت تنقل المذهب نقلا جيدا، تلقت العلم عن جملة من الفقهاء وأخذ عنها كثيرون وتصدرت للتدريس وألفت مؤلفات عديدة فى الفقه والحديث.

رحلت إلى حلب مع زوجها الكاسانى، وعاصرت الملك العادل نور الدين الشهيد واستشارها فى بعض أموره الداخلية وسألها عن بعض المسائل الفقهية وأنعم عليها، وكان زوجها ربما يخطأ فى الفتيا فترده إلى الصواب وتعرفه وجه الخطأ فيرجع إلى قولها، وكانت تفتى وكان زوجها يحترمها

---

(١) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، جـ١، ص٤٩٠. الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٩، ص٩١ - ٩٣. السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٥، ص ٢٩٦، ٢٩٧. ابن الصلاح الشهرزورى: طبقات الفقهاء الشافعية، جـ٢، ص٨١٨. ابن كثير: طبقات الفقهاء الشافعيين، جـ٢، ص٤٨٣.

(٢) حسين الديار بكرى: تاريخ الخميس، جـ٢، ص٣٦٠. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص٨٨. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٤٦٦. الزركلى: ترتيب الأعلام على الأعوام، مج١، ص٣٤٤.

ويكرمها، وكانت الفتوى أولا تخرج وعليها خطها وخط أبيها، فلما تزوجت بالكاسانى صاحب البدائع صارت الفتوى تخرج بخط الثلاثة[1].

كما كان الإمام برهان الدين أبو الحسن على بن أبى بكر بن عبد الجليل الفرغانى المرغينانى السمرقندى صاحب الهداية (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م) إماما فقيها جامعا للعلوم ضابطا للفنون، تفقه على الأئمة المشهورين منهم مفتى الثقلين نجم الدين أبو حفص عمر النسفى والإمام الصدر الشهيد حسام الدين عمر بن عبد العزيز، والإمام ضياء الدين محمد ابن الحسين البندنيجى تلميذ صاحب التحفة علاء الدين السمرقندى، وتفقه عليه ابنه عمر ابن على أبو حفص، وابنه الآخر محمد بن على بن أبى بكر الإمام الملقب عماد الدين، رحل إليه العلماء من أرجاء العالم الإسلامى[2]. له مؤلفات عديدة منها كتاب البداية، وكتاب مجموع النوازل، وكتاب كفاية المنتهى ومناسك الحج[3].

ثالثا: أثر مؤلفات علماء الصغد فى إثراء الحياة الثقافية فى بلدان العالم الإسلامى

١ - إسهامات علماء الصغد فى العلوم الأساسية:

شهدت مدن الصغد حركة تأليف واسعة فى العلوم الأساسية ساعدت على التواصل الفكرى بين العلماء لانتقالها فيما بين المدن الإسلامية ومن أبرز

---

(١) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، جـ٢، ص ٢٧٣، ٢٧٤. القرشى: الجواهر المضية، جـ٤، ص١٢٠ - ١٢٣. عمر رضا كحالة: أعلام النساء، جـ٤، ص ٩٤، ٩٥.

(٢) الاسمندى: طريقة الخلاف فى الفقه بين الأئمة الأسلاف، ص٢٦. برهان الدين المرغينانى: الهداية شرح بداية المبتدى، مج١، ص٨.

(٣) برهان الدين المرغينانى: المصدر نفسه، مج١، ص٩. الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ٢١، ص٢٣٢

هذه المؤلفات "كتاب تأسيس النظر فى اختلاف الأئمة"، لأبى زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الحنفى الدبوسى (ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) ويعد هذا الكتاب من أهم كتب الخلاف، وقد ألفه الدبوسى عندما رأى تصعب الأمر فى تحفظ مسائل الخلاف على المتفقهين وتعسر طرق استنباطهم عليهم وقصور معرفتهم عن الاطلاع على حقيقة مأخذها، إذا تدبر الناظر فيها عرف مجال التنازع ومدار التناطح عند التخاصم فيصرف عنايته إلى ترتيب الكلام وتقوية الحجج فى المواضع التى عرف إنها مدار القول، ومجال التنازع فى موضع النزاع، فيسهل عليهم تحفظها، ويتيسر لهم سبيل الوصول إلى عرفان مأخذها". ثم قسم الخلاف بين الفقهاء وجعله ثمانية أقسام؛ فيما بين فقهاء الأحناف أنفسهم من جهة وبين هؤلاء والإمام مالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعى من جهة أخرى(١).

وكذلك "كتاب تقويم الأدلة" المعتمد فى أصول الفقه الحنفى، وضمن كتابه هذا آراءه الأصولية وإن كانت تخالف أئمة مذهبه، واعتنى علماء الحنفية بهذا الكتاب، فشرحه الإمام فخر الإسلام على بن محمد البزدوى الحنفى وهو شرح حسن، واختصره الإمام سيف الدين أبو بكر محمد بن الحسين الارسابندى، وشرحه أيضا الإمام بدر الدين محمود ابن عبد الكريم الكردى(٢). وكتاب الأسرار، وكتاب نظم الفتاوى وكتاب خزانة الهدى فى الفتاوى وكتاب الأسرار فى الأصول و الفروع، وكتاب تحديد أدلة الشرع(٣).

---

(١) الجوينى: الدرة المضية فيما وقع فيه الخلاف بين الشافعية والحنفية، ص٦١م. الدبوسى: تأسيس النظر، ص ١

(٢) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص٤٦٧. السغناتى: الوافى فى أصول الفقه، جـ١، ص٨٩،٨٨.

(٣) الدبوسى: المصدر نفسه، ص٣. الزركشى: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكى، جـ٢، ص٦٣٧. إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، جـ١، ص٦٤٨. عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج٢، ص٢٦٦.

وكتاب الأمد الأقصى وهو نصائح وإرشادات أخلاقية كلامية[1].

وكتاب "بحر الأسانيد فى صحاح المسانيد" لأبى محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن القاسم بن جعفر السمرقندى القاسمى (ت٤٩١هـ/ ١٠٩٧م)، جمع فيه مائة ألف حديث فى ثمانمائة جزء، وأتى فيها بطرق الأحاديث على اختلافها وتباين وجوهها ورواياتها، حقا لم يقع فى الدولة الإسلامية مثله[2].

وكتاب "التيسير فى التفسير" لنجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفى السمرقندى (ت٥٣٧هـ/ ١١٤٢م) ذكر فى الخطبة مائة اسم من أسماء القرآن ثم عرف التفسير والتأويل ثم شرع فى المقصود، وفسر الآيات بالقول وبسط فى معناها كل البسط، كما صنف "الأكمل الأطول فى التفسير"[3].

وكتاب "تحفة الفقهاء فى الفروع" للفقيه أبو بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبى أحمد السمرقندى (ت٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) والتحفة حلقة هامة فى سلسلة كتب الفقه الإسلامى يمتاز بالتقسيم والترتيب، فهو كتاب علمى عملى وسط سهل مرتب، يتصل اتصالا ظاهرا بكتابين: أحدهما مختصر القدورى، والثانى بدائع الكاسانى. بيد أن التحفة تمتاز على المختصر بالترتيب والتقسيم، كما قال صاحب التحفة نفسه: "اعلم أن المختصر المنسوب إلى الشيخ أبى

---

(١) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، جـ٣، ص٢٧٣.

(٢) أبو عبد الله الدمشقى: طبقات علماء الحديث، جـ٣، ص ٤٢٢، ٤٢٣. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص ٧٠٢، ٧٠٣. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مج١، ص٥٣٧. قيس آل قيس: الإيرانيون والأدب العربى رجال علم الحديث، مج٢، ص٥٣٥. ناجى معروف: علماء النظاميات، ص٥٢.

(٣) الدبوسى: تأسيس النظر، ص١٠٩. الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ٢٠، ص ١٢٦. اللكنوى: الفوائد البهية، ص ١٤٩، ١٥٠. النسفى: العقائد النسفية، ص٩. محمد ابن محمد الثعالبى الفاسى: الفكر السامى فى تاريخ الفقه الإسلامى، مج٢، ص١٨٠، ١٨١.

الحسين القدورى جامع جملا من الفقه مستعملة بحيث لا تراها مدى الدهر مهملة يهدى بها الرائض فى أكثر الحوادث والنوازل ويرتقى بها المرتاض إلى أعلى المراقى والمنازل، ولما عمت رغبة الفقهاء إلى هذا الكتاب، طلب منى بعضهم، من الإخوان والأصحاب، أن أذكر فيه بعض ما ترك المصنف من أقسام المسائل وأوضح المشكلات منه، بقوى من الدلائل، ليكون ذريعة إلى تضعيف الفائدة بالتقسيم والتفصيل، ووسيلة بذكر الدليل، إلى تخريج ذوى التحصيل، فأسرعت فى الإسعاف والإجابة، رجاء التوفيق من الله فى الإتمام والإصابة"(١). وأما صلتها بالبدائع فمعروفة مشهورة صيغت فى عبارة جميلة هى" شرح تحفته وتزوج ابنته"(٢).

وأيضًا "ميزان الأصول فى نتائج العقول" من أهم المصنفات التى ساعدت على الترابط الفكرى بين العلماء وهو كتاب متوسط الحجم، ليس فيه إطناب ممل ولا إيجاز مخل، أسلوبه سهل، عذب سلس وترتيبه منطقى، ومن منهجه عرض الآراء المختلفة وبيان كل حجة دون الدخول ـ فى الغالب ـ فى المناقشة والجدل، وله أيضا كتاب اللباب فى أصول الفقه(٣).

كما يعد كتاب "بذل النظر فى الأصول" للفقيه أبو الفتح محمد بن عبد الحميد بن الحسين بن الحسن بن حمزة السمرقندى المعروف بالعلاء العالم (٥٥٢هـ/ ١١٥٧م)، من الكتب النفيسة يحتوى على أبواب عديدة يجمع كل واحد منها مسائل منتظمة، واختلف منهج المؤلف فى معالجة الأبواب بحسب

---

(١) علاء الدين السمرقندى: تحفة الفقهاء، جـ١، ص ٢٢، ٢٣.

(٢) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص٣٧١. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص٢٩٤.

(٣) الزركشى: تشنيف المسامع بجمع الجوامع، جـ١، ص٢٨٧. السغناقى: الوافى فى أصول الفقه، جـ١، ص٩٠. علاء الدين السمرقندى: ميزان الأصول، ص١٧، ١٦م. عتيق أحمد البستوى: دور العلماء الأحناف فى تدوين أصول الفقه وأهم كتبهم الأصولية، ص١٥٢، ١٥٣.

طبيعة القضايا[1]. وكذلك الطريقة المعروفة بطريقة العلاء العالم فى مجلدات يقال لها التعليقة، وشرح منظومة الخلافيات للنسفى، وكتاب طريقة الخلاف فى الفقه، وهذا الكتاب أحاط بأحكام الفقه فى مجملها وتفصيلها مدركا بحكمها وعللها مميزا عن وعى كامل بين المتشابهات والمختلفات منها[2] والكتاب من أوله إلى أخره يسير على نهج واحد، فهو أولا يورد حكم المسالة ويعقبه غالبا بالحكم المخالف بقوله: "كثيرا وعنده"[3]، وجمع فيه المؤلف أكثر من مائتى مسألة فرعية مختلف فيها وزعها على اثنين وثلاثين كتابا[4].

ويعد كتاب "شرعة الإسلام إلى دار السلام"، من أبرز الأمثلة على التفاعل الثقافى بين العلماء، والكتاب فى واحد وستين فصلا، ألفه الشيخ ركن الإسلام محمد بن أبى بكر السمرقندى (ت٥٧٣هـ / ١١٧٧م) لتهذيب أطفال أهل الإيمان، وصفه فى بعض كلامه" إنه أول ما يلقن به أطفال أهل الإيمان، وأحق ما يتحفظه أهل الإيمان بل لا مندوحة دونه لسالك سبيل الهدى كيلا يتردى به الهوى فى هوة الردى" والظاهر أن المؤلف قصد بهذا الكتاب أن ينتفع به أعقابه ويتخذوه دليلا ومرشدا، فقال فى مقدمة الكتاب "والمأول من فضل الكريم الوهاب أن يبارك لى لمَن أخلفه من الأعقاب بما أودعته هذا الكتاب، إنه ولى الإجابة والإيجاب وإليه المصير والمآب"

لكن الكتاب أصبح مرجعا للعامة والخواص ودليلا موجها لمن أراد أن يهتدى فى حياته بهدى الكتاب والسنة وهدى الرسول ﷺ فى العادات

---

(١) الأسمندى: بذل النظر فى الأصول، ص٢٣. الداودى: طبقات المفسرين، جـ٢، ص١٧٧. العسقلانى: لسان الميزان، جـ٥، ص٢٤٣. ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، مج٤، جـ١، ص١٥.

(٢) الأسمندى: طريقة الخلاف فى الفقه بين الأئمة الأسلاف، ص٢٤.

(٣) الأسمندى: طريقة الخلاف فى الفقه بين الأئمة الأسلاف، ص٤٣.

(٤) هشام نشابه وآخرون: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، مج١، ص٦٧٨.

والتقاليد والعبادات والأحكام والمعاملات، فذكر ما ثبت بالسنة من عقائد الدين وملة الإسلام ينهج فى ذلك نهج السلف، فجاء كقانون ودستور للحياة فى العقائد والأعمال والأخلاق. وتعرض فى الكتاب لعلم أخلاق الدين وأخلاق العلماء وذكر آداب المتعلم وحقوق المعلم، وفى الكتاب فصول فى بيان الأحكام العملية فى حياة المسلم، والأحكام من الوصايا والتجارب وفصول فى الفضائل والأدعية والأذكار(١).

وكتاب "بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع" لأبى بكر مسعود بن أحمد الكاسانى علاء الدين ملك العلماء (ت٥٨٧هـ/ ١١٩١م) رتبه الكاسانى ترتيبًا حسنًا وأوضح مشكلاته بذكر الدلائل فى جميع المسائل، على أن القول بأن البدائع شرح التحفة يحتاج إلى بيان، ذلك أن صاحب البدائع لم يتخذ متنا فيشرحه عبارة عبارة ولا تفصيلا بل إنه رتبه ترتيبا جديدا، سار به بالصنعة الفقهية إلى الأمام ولكنه حافظ على ألفاظ التحفة بحيث يجد الباحث التحفة فى البدائع بلفظها لكن بترتيب آخر(٢). وله مؤلفات عديدة منها كتابه السلطان المبين فى أصول الدين، وسماه المعتمد فى المعتقد، وكتاب ندرة أصحاب الإمام أبى حنيفة فى الزمن الأخير، وكان مواظبا على ذكر الدرس ونشر العلم(٣).

ولا شك أن هذه المصنفات التى خلفها علماء الصغد كانت ثروة ثقافية لها شأنها فى بناء الفكر الإسلامى. وكانت تنتقل بين المدن الإسلامية فى

---

(١) محمد بن أبى بكر السمرقندى: شرعة الإسلام إلى دار السلام، ص٢٧، ٢٦م. الزركلى: الأعلام، جـ٦، ص٥٤.

(٢) علاء الدين السمرقندى: تحفة الفقهاء، جـ١، ص ٢٣، ٢٤.

(٣) ابن العديم: بغية الطلب فى تاريخ حلب، جـ١٠، ص٤٣٤٧، ٤٣٤٨ ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، جـ٦، ص١١٩، ١٢٠. الكاسانى: بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع، ص٧٨، ٧٧. اللكنوى: الفوائد البهية، ص٥٣.

سهولة ويسر مع طلاب العلم مما كان له كبير الأثر فى ازدياد التفاعل الثقافى بين العلماء خلال فترة البحث.

٢ -الإسهامات اللغوية والأدبية التى قدمها علماء الصغد:

اللغة والنحو

كان تأثير علماء النحو والأدب فى مدن الصغد على البلاد الإسلامية تأثيرا عظيما حيث استطاع مشاهير العلماء فى مدن الصغد أن يرتقوا بالعربية كى تصبح لغة التعبير عن حصيلة ما وصلت إليه المعرفة الإنسانية، وأن تصبح من خلال مصنفاتهم التى يصعب إحصاؤها لغة العلم والبحث العلمى، وقد ترك علماء الصغد ومنهم العلامة رضى الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن على بن إسماعيل العدوى الصاغانى، أثاراً مميزة فى تطور اللغة العربية والنحو، وإليه المنتهى فى علم اللغة ومعرفة اللسان العربى، وله مؤلفات كثيرة تدل على سعة الاطلاع وامتداد آفاق البحث والإحاطة بأطرافه، ومن مؤلفاته فى اللغة كتاب مجمع البحرين فى اللغة فى أثنى عشر مجلدا، وكتاب العباب الزاخر واللباب الفاخر وهو معجم كبير فى عشرين جزءا من أشهر معاجم اللغة، ومات قبل إكماله وانتهى فيه إلى فصل (ب ك م) من حرف الميم[١].

كما أَلَف كتاب التكملة والذيل والصلة فى اللغة، وسار فى ترتيب المواد اللغوية على حسب الحرف الأخير من الكلمة على نظام الباب والفصل، وتقع التكملة فى ستة أجزاء. وله كتاب الشوارد فى اللغات، وكتاب الأضداد، وكتاب أسماء الأسد، وكتاب أسماء الذئب، وكتاب النوادر فى اللغة وكتاب

---

(١) الصاغانى: التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية مج١، ص٦،٧.
اللكنوى: الفوائد البهيه، ص٦٣. ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٣، ص٩٤.
اليمانى: إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين، ص٩٨.

فى التصريف وله كتاب فعال على وزن حذام، وكتاب فعلان على وزن شنان، وكتاب الانفعال، وكتاب يفعول، وكتاب التراكيب[1].

الأدب

وصل فن الأدب إلى درجة رفيعة من الرقى والتقدم وكثر عدد الشعراء والكتاب النابهين الذين ذاعت شهرتهم فى أرجاء العالم الإسلامى كله فى ذلك الوقت[2]. ويعتبر كتاب جهار مقاله لنظامى عروضى سمرقندى من أقدم الكتب الفارسية التى عالجت جوانب من الحياة الأدبية والعلمية فى بلاد ما وراء النهر منذ القرن الثالث الهجرى حتى منتصف القرن السادس الهجرى. وكان نظامى عروضى واحدا من رواد النثر الفارسى الذين وضعوا القواعد للكتابة فى فن الإنشاء، فهو موجز فى ألفاظه كبير فى معانيه ابتعد عن التصنع فى اللفظ وعن التكلف فى العبارات كما ابتعد عن الحشو والإطناب الممل مما جعل عباراته لطيفة وموضوعاته جذابة. ومن ثم يمكن أن يعد هذا الكتاب من حيث سلامة الإنشاء وأسلوب العبارة، ونسج الكلام فى طليعة الآثار الفارسية المنثورة، كما يعد نموذجا للنثر الفارسى، كما يعتبر لسلاسة أسلوب الكتاب وجمال عباراته نموذجا يقتدى به الكتاب والأدباء من حيث إنشائه وأسلوبه[3]. وبذلك يعد نظامى عروضى من أبرز أمثلة تأثير مدن الصغد على العالم الاسلامى خلال فترة البحث.

ومن أهم الكتب التى مثلت صورة حية للتفاعل الثقافى كتاب "سندباد نامه" لبهاء الدين محمد بن على بن محمد بن الحسن الظهيرى الكاتب

---

(١) الصاغانى: المصدر نفسه، مج١، ص ٦، ٧. الكتبى: فوات الوفيات والذيل عليها، جـ١، ص٣٥٩، ٣٦٠. اليمانى: المصدر نفسه، ص٩٨، ٩٩.

(٢) عبد النعيم محمد حسنين: إيران والعراق فى العصر السلجوقى، ص١٨٩.

(٣) العروضى السمرقندى: جهار مقاله، ص ١. السباعى محمد السباعى: النثر الفارسى، ص٣٢١

السمرقندى (ت٥٥٦هـ/ ١١٦٠م)[١] وهذا الكتاب فى القصص والحكايات المشتملة على المواعظ والنصائح والحكم والمصالح فى سيرة الملوك مع الرعايا وحسن رعايتهم للرعية. ومؤلفه فيما يقال حكيم هندى اسمه سندباد نامه كان يعيش فى زمان ملك من ملوك الهند، ترجمه القناوزى وقام محمد بن على الظهيرى السمرقندى بإخراج هذه الترجمة من بداوتها وكسادها وألبسها ثوبا أدبيا جديدا مزينا بالأمثال والأحاديث والآيات والأشعار الفارسية والعربية، وجعله باسم السلطان قلج طمغاج خان بن قراخان برهان مسعود[٢]. ويعد كتاب السندباد قصة لها بداية ونهاية تستوعب بينها حكايات هادفة، يرويها أشخاصها فى مناسبات ومشاهد مختلفة، ومجموع هذه الحكايات هو مادة القصة وقوامها، فهى أشبه بنظام عقد ينتظم حباته، فإذا انفرطت وتبددت هذه الحبات لا يكون غير خيط زهيد[٣].

وأيضا كتاب جوامع الحكايات ولوامع الروايات لسديد الدين أو نور الدين محمد بن محمد بن يحيى بن طاهر بن عثمان العوفى البخارى و الذى يعتبر من أهم مؤلفاته؛ لما تضمنه من فوائد أدبية لا توجد فى غيره[٤]. يحتوى هذا الكتاب على أربعة أقسام، كل قسم منها به خمسة وعشرون بابا كتبه العوفى بأسلوب جيد وعبارة واضحة. القسم الأول حكايات عن أشخاص أسطوريين وتاريخيين وطبقات متفرقة من رجال الحكم والعلماء والشعراء. القسم الثانى حكايات قصيرة فى بيان الفضائل الإنسانية. القسم

---

(١) الراوندى: راحة الصدور، ص٢٩٤. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٩. ذبيح الله صفا: دور نمايى از فرهنك ايرانى، ص١٢٥.

(٢) الظهيرى السمرقندى: سندباد نامه، ص ٥، ٧.

(٣) الظهيرى السمرقندى: المصدر نفسه، ص١٧.

(٤) أمين عبد المجيد بدوى: القصة فى الأدب الفارسى، ص٣٦٠، ٣٦١. كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى، ص٣٥٤، ٣٥٥.

الثالث حكايات تمثل الرذائل الآدمية. القسم الرابع موضوعات متفرقة من قبيل الأدعية التى يدعوها الغريب لتصونه وتنجيه من المخاطر وحكايات من عجائب الخليقة[١]. وينتمى كتاب جوامع الحكايات إلى ذلك الطراز من المجموعات الأدبية الذى انتشر بشكل خاص فى الأدب العربى وبالأخص مجموعة القصص التاريخية واليومية التى يقصد بها النصيحة والموعظة الحسنة وأحيانا الإمتاع[٢].

وبالنسبة للشعر قامت صلة وثيقة بين طائفة من عباقرة الشعر فى مدن الصغد وبلدان العالم الإسلامى، ولاسيما فى موضوعات الشعر، ونخص بالذكر أبو النجيب شهاب الدين عمعق البخارى (ت٥٤٣هـ / ١١٢٩م) أحد أساتذة بلاد ما وراء النهر الذين ذاعت شهرتهم، مدح السلطان سنجر ونال عطاءه. وارتبط بالسلطان خضر خان[٣]. وكان عمعق يمتدح الشاعر رشيدى ويقر بفضله حتى ارتفع شأن رشيدى لدى السلطان خضر فدبت بينه وبين عمعق الوحشة[٤].

وتاج الشعراء السوزنى السمرقندى (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) الذى فاقت شهرته أقرانه حتى قيل بأنه لم يسلم شاعر معاصر له من سيف هجائه، وبرع السوزنى فيه إلى الحد الذى نفر منه الجميع[٥]. ومن الشعراء الذين عاصروه

---

(١) أمين عبد المجيد بدوى: القصة فى الأدب الفارسى، ص٣٦٢.

(٢) كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافى العربى، ص٣٥٥.

(٣) دولتشاه: تذكرة الشعراء، ص٣٧. سعيد نفيسى: تاريخ نظم ونثر در إيران، جلد أول، ص٩٦. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٥٣٧. عبد العظيم رضايى: تاريخ ده هزار ساله ايران جلد سوم، جاب بنجم، ص١٤٢.

(٤) عبد الحسين زرين كوب: سيرى در شعر فارسى، جاب سوم، ص٤٦.

(٥) ذبيح الله صفا: تاريخ حياسى واجتماعى وفرهنكى إيران، ص١٥٩. عبد الحسين زرين كوب: المرجع نفسه، ص٤٧، ٤٨. محمد كامكار بارسى: رباعى ورباعى سرايان از اغاز تا قرن هشتم هجرى، ص ١١٧، ١١٨. محمد محجوب: سبك خراسانى در شعر فارسى، ص ٦٣٥، ٦٣٦.

وتبادل معهم الهجاء عمعق البخارى (ت٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) والانورى (ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) ورشيد الدين الوطواط (ت٥٥٦هـ/ ١١٦٠م) ومعزى (ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) وأديب صابر (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) وعلى شطرنجى ونظامى عروضى سمرقندى، وقد سبب الأذى لهم جميعا بلسانه الحاد[١].

وأبو بكر محمد بن على روحانى السمرقندى من أشهر شعراء القرن السادس الهجرى، كان من تلاميذ رشيدى السمرقندى، وممن سار على طريقته[٢]. وكريمى سمرقندى من شعراء أواخر القرن السادس الهجرى بسمرقند وخراسان، وكان ذا فضل وكمال وله أشعار قيمة، وحصل على ثروة ضخمة من قوله الشعر، وكانت له رحلة واسعة، وطاف البلاد وذهب إلى سجستان[٣]. والأنورى أوحد الدين محمد بن عبد الملك (ت٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) من أعظم شعراء الفرس، بلغ بقصيدة المدح الفارسية أقصى قدرته[٤]، ونظم الأنورى قصيدة بناء على طلب أهالى خراسان ووجهها إلى أمير سمرقند محمود بن أرسلان خان الذى كان يتولى حكم سمرقند وقت معركة الغز مع السلطان سنجر سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م[٥].

وسيد معين الدين أشرف السمرقندى (ت٥٩٥هـ/ ١١٩٨م) من أشهر الشعراء فى سمرقند، قام بمدح الملك بيغو وصحبه إلى العراق ثم رحل إلى أصفهان وكان مرتبطا بالشعراء المعاصرين له، ثم سلك طريقه إلى السلطان

---

(١) هدايت: مجمع الفصحاء، جـ١، ص٢٤٩. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٦٢٢

(٢) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٦١١.

(٣) محمد عوفى: لباب الألباب، ص٥٠٥. هدايت: مجمع الفصحاء، جـ١، ص٤٨١.

(٤) محمد غنيمى هلال: مختارات من الشعر الفارسى، ص١٦٠، ١٥٩.

Claud Field , Persian Literature, pp97,98.

(٥) محمد محمود إدريس: السلطان سنجر، ص٩٠.

طغرلبك السلجوقى آخر سلاطين السلاجقة فى العراق، وما لبث أن عاد إلى سمرقند ومات بها[١]. وإلى هؤلاء الشعراء يرجع الأثر البالغ فى قيام النهضة الثقافية فى الدولة الإسلامية

٣ - إسهامات علماء مدن الصغد فى علم الكلام:

قدم علماء الصغد إسهامات قيمة فى علم الكلام فى وقت كانت الحاجة فيه ماسة إلى تعزيز قواعد الدين من جديد على ضوء الفلسفة الشائعة إبان القرن الرابع للهجرة، واضطلع بهذا الأمر رجلان كان لهما الفضل فى تأسيس علم الكلام. وهما أبو الحسن الأشعرى الشافعى من بُغداد (ت٣٢٤هـ/ ٩٣٥م)، وأبو منصور الماتريدى الحنفى من سمرقند (ت٣٣٣هـ/ ٩٤٤م)[٢].

ويعد أبو منصور الماتريدى المؤسس للاتجاه الكلامى فى المذهب الحنفى فى بلاد ما وراء النهر، وتلقى على يده الكثير من التلاميذ والأتباع وامتد آثاره فى أنحاء عديدة من البلاد الإسلامية، وانتشر مذهب الماتريدى مواكبا انتشار المذهب الحنفى، وكان على هذا المذهب جميع بلاد ما وراء النهر إلى أقصى ثغور الترك ومرو وبلخ[٣].

كان للماتريدى تلاميذه وأتباعه الذين عملوا على نصرة مذهبه[٤]. ومن أعلام المدرسة الماتريدية صدر الإسلام أبو اليسر محمد بن الحسين بن عبد الكريم البزدوى (ت٤٩٣هـ/ ١١٠٠م) قاضى سمرقند، وله مؤلفات كثيرة قيمة من أهمها "كتاب أصول الدين" وهو يضم مختلف النظريات والآراء

---

(١) سعيد نفيسى: تاريخ نظم ونثر در إيران، جلد أول، ص٨٧.

(٢) أحمد محمود صبحى: فى علم الكلام، جـ١، ص ٤٠٧، ٤٠٨.

Ignace Goldziher, A short History of Classical Literature, p53.

(٣) على عبد الفتاح المغربى: الفرق الكلامية الإسلامية، ص ٣٤١، ٣٤٣.

(٤) عبد المجيد أبو الفتوح بدوى: القصة فى الأدب الفارسى، ص١١١

الكلامية، ويعبر عن المذهب الماتريدى ويتعرض لكل الآراء المتشعبة للتعاليم الدينية منذ بدء الخلاف فى هذه الآراء فى الإسلام حتى العصر الذى عاش فيه المؤلف، ولقد اعتمد البزدوى على آراء الماتريدى الكلامية، وذكرها فى كثير من المسائل وكان يعد دائما الرأى الصحيح المعبر عن آراء أهل السنة والجماعة(١).

وينقسم كتاب أصول الدين فى مجموعه إلى ثلاثة أجزاء: الجزء الأول ويحتوى على مقدمة تشتمل على استعراض مختصر لعلماء الفقه المسلمين ومؤلفاتهم، ويتبع ذلك فى الجزء الثانى دراسة الأصول الدينية، ويتلوه فى الجزء الثالث تفسير للمذاهب الإسلامية وتفرعاتها، وهو كتاب علمى يشمل أسس العقيدة عند أهل السنة(٢). وقد فاقت شهرة البزدوى عن طريق تلاميذه شهرته بمؤلفاته. وأشاد بعلمه كل من كتبوا عنه أو عاصروه وقال عمر النسفى فى كتابه القند: "وكان شيخ أصحابنا بما وراء النهر، وكان إمام الأئمة على الإطلاق، والموفود إليه من الآفاق، ملأ الشرق والغرب بتصانيفه فى الأصول والفروع"(٣).

٤ - إسهامات العلماء فى مدن الصغد فى علم التاريخ:

يعد أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد المستغفرى السمرقندى (ت٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م) من أبرز العلماء فى هذا العصر رحل فى طلب العلم إلى خراسان وأقام بسرخس ومرو مدة، وصنف التصانيف العديدة منها: معرفة الصحابة، وكتاب الخطب النبوية، وكتاب دلائل النبوة(٤)،

---

(١) على عبد الفتاح المغربى: الفرق الكلامية الإسلامية، ص٣٤٣.

(٢) البزدوى: كتاب أصول الدين، ص٥.

(٣) طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص٨٦. القرشى: الجواهر المضية، جـ٤، ص٩٩.

(٤) السمعانى: التحبير فى المعجم الكبير، جـ٢، ص١٤٧.

وكتاب تاريخ سمرقند، وكتاب تاريخ نسف الذى يقع فى مجلدين كبيرين[١]. وأبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر الأشعث السمرقندى (ت٥٣٦هـ/ ١١٤٢م) كان من أبرز المؤرخين، عارفا بالرجال، من آثاره كتاب من فضائل العباس بن عبد المطلب[٢] وكتاب معجم الشيوخ[٣]. وأبو حفص عمر بن محمد بن أحمد ابن إسماعيل بن لقمان النسفى السمرقندى (ت٥٣٧هـ/ ١١٤٣م) كان من كبار المؤرخين، صنف التصانيف الكثيرة ومنها: كتاب تعداد الشيوخ لعمر مستطرف على الحروف، جمع فيه شيوخه وهم خمسمائة وخمسون شيخا[٤]، وكتاب الإجازات المترجمة بالحروف المعجمة، وهذا الكتاب مخصص لمن أخذ عنهم إجازة فى الرواية، ويعد كتاب القند فى ذكر علماء سمرقند من أجل مؤلفاته[٥]. وقد أختصر هذا الكتاب تلميذه، أبو الفضل محمد ابن عبد الجليل بن عبد الملك بن على بن حيدر السمرقندى المؤرخ، وسماه "منتخب القند فى تاريخ سمرقند"[٦] وكان معظم الكتاب تشغله الأحاديث النبوية وسير الأولياء والكلام على أضرحتهم، مع إشارات وافية عن أوقات زيارتها وما يرتبط بذلك من شعائر[٧].

---

(١) النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص١٧.

(٢) ابن الصلاح الشهرزورى: طبقات فقهاء الشافعية، جـ١، ص٤٢٦.

(٣) العسقلانى: لسان الميزان، جـ٦، ص ٢٧٦، ٢٧٧.

(٤) الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ٣٦، ص٤٤٨، ٤٤٧. العسقلانى: المصدر نفسه، جـ٤، ص٣٢٧. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص١٦٣.

(٥) النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص١٥-١٧.

Paul ,The Histories of Samarqand ,p70-72

(٦) حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ٢، ص١٣٥٦. السيوطى: بغية الوعاة، جـ٢، ص٤٠. عمر رضا كحاله: معجم مصنفى الكتب العربية فى التاريخ والتراجم والجغرافية والرحلات، ص٥٠٦.

(٧) بارتولد: تركستان، ص٢٩.

والإمام الحافظ تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعانى التميمى المروزى (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م) كان من أشهر أئمة المسلمين فى علوم كثيرة قطع المسافات والآفاق والتقى بالعلماء، وكان وافر الهمة فى طلب العلم، شديد الحرص على لقاء المشايخ. وتلقى أبو سعد علوم الحديث، وشتات المعرفة على عدد كبير من المشايخ[١] واتسعت رحلته فعمت بلاد خراسان والعراق والحجاز والشام وطبرستان وبلاد ما وراء النهر ودخل سمرقند وأخذ الكثير عن مشايخها[٢].

ملأ أبو سعد صفحات كثيرة من مؤلفات ضخمة بتراجم شيوخه، منها: كتاب العوالى، فى اثنين وثلاثين جزءا خرجه لولده أبى المظفر عبد الرحيم[٣] وكتاب المعجم، فى ثمانية عشر جزءا خرجه لولده أبى المظفر عبد الرحيم أيضا[٤]، كما جمع لنفسه معجما آخر لشيوخه، يضاف إلى ذلك أنه ذكر عددا كبيرا من مشايخه الآخرين فى مؤلفات غيرها مثل الذيل على تاريخ بغداد، وتاريخ مرو، وكتاب الهداية، وكتاب التحبير فى المعجم الكبير، وكتاب مقام العلماء بين يدى الأمراء[٥] وكتاب الأنساب الذى لخصه ابن الأثير فى كتابه اللباب فى تهذيب الأنساب[٦] كما اختصره السيوطى بعنوان لب الألباب فى تحرير الأنساب[٧].

---

(١) البخارى: التاج المكلل، ص٧٦.

(٢) السمعانى: الأنساب، جـ١، ص١١. السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٧، ص١٨٠، ١٨١.

(٣) السمعانى: المصدر نفسه، جـ١، ص٢١.

(٤) البخارى: التاج المكلل، ص٧٦.

(٥) السمعانى: الأنساب، جـ١، ص ١١، ١٢.

(٦) سراج الدين أبو حفص المصرى: طبقات الأولياء، ص٤٠.

(٧) أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، ص٢٦٨.

شرع السمعانى بجمع كتاب الأنساب فى سمرقند سنة (٥٥٠هـ/ ١١٥٥م)[١] بناء على رغبة عمر بن على البسطامى الذى قابله فيها. وجمع فيه بضعة آلاف من التراجم مرتبة على حروف المعجم، ونسب كل واحد منها إلى بلد أو قبيلة أو صناعة أو تجارة أو غير ذلك، فكان يضبط حروف النسبة ويشرحها، ولا مراء أن أبا سعد بذل قصارى جهده فى معجمه لاستقصاء الأنساب التى اشتهرت بها جماعة العلماء والشيوخ وغيرهم من الشخصيات التى خلفت أثرها فى الإسلام[٢]. أما عن الأسلوب الذى اتبعه فى كتابه الأنساب فإنه يثبت تطور الفكر التاريخى والتواصل الثقافى عند مؤرخى المسلمين فى العصور الوسطى، وذلك بإعطائه فكرة واضحة عن الأشخاص ويشرح معانى الأنساب ويشتمل كلامه على الأسماء التى فى مدن الصغد وبلاد ما وراء النهر خاصة على مادة هامة[٣].

٥ - إسهامات علماء الصغد فى العلوم التطبيقية:

علم الفلك

ساهم العلماء المسلمون فى مدن الصغد مساهمة فعالة وكانوا روادا فى علم الفلك، وكان نظامى عروضى السمرقندى من أكبر هؤلاء الرواد، له كتاب صدباب - مائة موضوع - كما ينسب إليه رسالة فى الاسطرلاب[٤]. وشمس الدين محمد بن أشرف الحسينى السمرقندى (ت٦٠٠هـ/١٢٠٣م) كان من كبار علماء الفلك، ومن تصانيفه كتاب الصحائف الإلهية، وكتاب

---

(١) منيرة ناجى سالم: تاج الإسلام أبو سعد السمعانى وكتابه التحبير فى المعجم الكبير، ص٢٦٥.

(٢) أحمد رمضان أحمد: المرجع نفسه، ص ٢٦٦، ٢٦٨. بارتولد: تركستان، ص١٠٤. زكى محمد حسن: الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى، ص٦٨.

(٣) أحمد رمضان أحمد: المرجع نفسه، ص ٢٦٦، ٢٦٨.

(٤) العروضى السمرقندى: جهار مقاله، ص١٥١.

الفسطاط، وكتاب فى آداب البحث[1]، فضلا عن أبو حامد ركن الدين العميدى السمرقندى (ت٦١٥هـ/ ١٢١٨م) كان من كبار المهتمين بعلم الفلك، له مصنفات قيمة منها رسالة فى الأعمال السحرية[2].

الرياضيات

أسهم علماء الصغد مساهمة فعالة فى علم الرياضيات فى شتى بلدان العالم وكان شمس الدين أشرف الحسينى السمرقندى (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م) من كبار رياضى ومهندسى بلاد ما وراء النهر، وهو صاحب كتاب أشكال التأسيس فى الهندسة[3] وهى خمسة وثلاثون شكلا من كتاب اقليدس، يتناول السمرقندى فى كتابه أشكال التأسيس، الخمسة الأخيرة من كتاب الأصول لاقليدس[4] خاصة بسطوح الأعداد، والأولى من أول الكتاب. ويمهد لكل ذلك بمقدمة مطولة يبرر بها إقدامه على التحرير فى هذا الموضوع، ويقدح فى مقدمات اقليدس ومن قلده فيها، كما يطعن" فيمن سماهم السادة من مخالفيه".

ولم يكتف السمرقندى بأنه نقل فى كتابه خمسة وثلاثين شكلا من كتاب الأصول لاقليدس، بل تصرف فى المادة المنقولة بترتيبها ترتيبا مختلفا عن ترتيب اقليدس، وبإبرازه لقضايا هامة فى الهندسة، وبالبراهين التى قدمها

---

(١) ابن الجوزى: أعمار الأعيان، ص٢٠. شمس الدين السمرقندى: أشكال التأسيس، ص١٧.

(٢) عبد الله رازى: تاريخ كامل إيران، ص٢٢٥.

(٣) ابن الجوزى: المصدر نفسه، ص٢٠. إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، جـ٢، ص١٠٦. عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج٣، ص١٣٦. قدرى حافظ طوقان: تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك، ص٤٢٨.

(٤) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص١٠٥. حكمت نجيب عبد الرحمن: دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب، ص١٦٣. قدرى حافظ طوقان: تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك، ص٤٢٨.

عنها فشرح أشكال التأسيس. ويبدو كتابا تضافرت فى إكمال مادته وأحكام صورته جهود علماء اختلفت عصورهم وبلدانهم واتفقوا فى تقديرهم للهندسة وفى اعتبار منزلتها بين العلوم، فإن كان لاقليدس فضل السبق إلى الأصول، فاللسمرقندى مزية الإحياء والتهذيب فى الأطوار المختلفة التى مرت بها الحضارة الإسلامية[١]. قام بشرح كتاب أشكال التأسيس موسى بن محمد بن محمود الرومى المعروف باسم قاضى زاده عالم بالرياضيات والفلك والحكمة (ت٩٣١هـ/ ١٥٢٤م)[٢] وهو شرح ممزوج لطيف وعليه تعليقات، منه حاشية تلميذه أبى الفتح محمد بن سعيد الحسينى المدعو بتاج الدين السعيدى وحاشية أخرى لفصيح الدين محمد، علقها للأمير على شير الوزير وعلى أوائله تعليق لقاضى زاده أيضا[٣].

وأبو منصور محمد بن سليمان بن قتلمش بن تركانشاه السمرقندى الأصل البغدادى (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) من كبار العلماء، تجمعت فيه أشتات الفضائل، أخذ من كل فن من العلم بنصيب وافر، وكان له اليد الباسطة فى حل اقليدس وعلم الهندسة[٤]. فضلا عن شرف الدين حسين بن حسن السمرقندى (ت٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) كان من كبار رواد هذا العلم، فكان من أشهر الرياضيين فى عصره، له مصنفات هامة منها رسالة فى طريق المسائل العددية[٥].

---

(١) شمس الدين السمرقندى: المصدر نفسه، ص ٥، ٦.

(٢) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص١٠٥. شمس الدين السمرقندى: أشكال التأسيس، ص١٩.

(٣) حكمت نجيب عبد الرحمن: دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب، ص١٦٣. قدرى حافظ طوقان: تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك، ص٤٢٨.

(٤) السيوطى: بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، جـ١، ص١١٥. المنذرى: التكملة لوفيات النقلة، مج٣، ص٩٨.

(٥) اقا بزرك الطهرانى: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، جـ٢٠، ص٣٥٧. زهير حميدان: أعلام الحضارة العربية الإسلامية فى العلوم الأساسية والتطبيقية، مج٣، ص٢١٣

علم الطب

من أشهر الأطباء الذين ربطوا العالم الإسلامى برباط الثقافة أبو عبد الله شرف الزمان محمد بن يوسف الايلاقى (ت٥٣٦هـ/ ١١٤١م) قدم سمرقند، و له مؤلفاته قيمة أهمها: كتاب الفصول الإيلاقية فى الطب. وهو كتاب قيم ملىء بالشروح العديدة لكتاب القانون لابن سينا[١]. وبدر الدين محمد بن بهرام بن محمد القلانسى السمرقندى (٥٩٠هـ/ ١١٩٤م) كان مجيدا فى صناعة الطب، وله عناية بالنظر فى معالجات الأمراض ومداواتها[٢]. وأبو المحامد نجيب الدين محمد بن على بن عمر السمرقندى (ت٦١٩هـ/ ١٢٢٢م) كان من كبار علماء الطب البارعين فى عصره معاصرا لفخر الدين الرازى بن الخطيب[٣] له مصنفات مشهورة منها كتاب أغذية المرضى، قسمه على حسب ما يحتاج إليه فى التغذية لكل واحد من سائر الأمراض، وكتاب الأسباب والعلامات، فى الأمراض الجزئية وأسبابها وعلاماتها وعلاجها، جمع فيه جميع العلل والأمراض الجزئية على سبيل الاستقصاء حتى لا يشذ منها علة مع أسبابها وعلاماتها، وأردف كل نوع بعلاج مجمل نقلا من كتب القانون لابن سينا ومن المعالجات البقراطية[٤]، وله أيضا رسالة فى مداواة وجع المفاصل، ومقالة فى كيفية تركيب طبقات

---

(١) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٣١٤. الزركلى: الأعلام، جـ٧، ص١٤٩.

(٢) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، جـ٣، ص٤٧. العطار الهارونى: منهاج الدكان ودستور الأعيان فى أعمال وتركيب الأدوية النافعة للأبدان، ص١١١.

(٣) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، جـ٣، ص٤٧. الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ٤، ص١٨٤. شوكت الشطى: اللب فى الإسلام والطب، ص٣١٧.

(٤) ابن أبى أصيبعة: المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٧. حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص٧٧. أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى، جـ٣، ص٤٩٦.

العين، وكتاب الإرشاد فى الطب النافع لجميع الأمراض، وكتاب الأغذية والأشربة للأصحاء، وكتاب الأغذية والأشربة للمرضى، وكتاب كامل الصناعة[١].

علم الصيدلة

أما عن أبرز الإسهامات فى هذا المجال فكانت على يد بدر الدين محمد بن بهرام بن محمد القلانسى السمرقندى (ت٥٩٠هـ/ ١١٩٤م) الذى يعد من كبار الصيادلة فى عصره، له عناية بالغة بالنظر فى معالجة الأمراض ومداواتها، وله كتاب الاقرباذين[٢] وهو تسعة وأربعون بابا، استوعب فيه ذكر ما يحتاج إليه من الأدوية المركبة، وجمع أكثر ذلك من الكتب المعتمد عليها كثيرا، مثل: القانون لابن سينا، والحاوى، والمنصورى للرازى، والكامل لعلى بن العباس المجوسى، والذخيرة لثابت بن قرة، والكفاية[٣].

يعتبر أقرباذين القلانسى من الناحية الصيدلية من أكمل ما كتب فى موضوعه بجميع اللغات حتى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى. ولم يتقيد القلانسى السمرقندى بضم الأدوية المركبة فقط فى كتابة، بل خصص عددا من الأبواب فى مقدمة كتابه للكلام عن تهيئة وفحص وحفظ المواد الأولية المستعملة فى تحضير الأدوية المركبة وذلك اعتقادا منه أن ذلك يعتبر من الأعمال الأساسية التى يجب أن يقوم بها الصيدلى قبل البدء

---

(١) إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، جـ٢، ص١١٠. الزركلى: الأعلام، جـ٦، ص٢٨٠. عمر رضا كحاله: المستدرك على معجم المؤلفين، ط٢، ص٧٠٨، ٧٠٩.

(٢) العطار الهارونى: منهاج الدكان ودستور الأعيان فى أعمال وتراكيب الأدوية النافعة للأبدان، ص١١١.

(٣) ابن أبى أصيبعة: المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٧. الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ٢، ص٢٧٣. القلانسى السمرقندى: اقرباذين القلانسى، ص ٨.

بتحضير الدواء المركب[1]. أما بقية الأبواب فقد خصص منها عشرين بابا للكلام عن الأشكال الصيدلية المعروفة، بالإضافة إلى أربعة أبواب تكلم فيها عن أدوية الرعاف ـ أدوية القيء ـ أدوية الزينة علاج من شرب السموم، وجملة هذه الأبواب تشابه ما ورد فى اقرباذين كل من سابور وابن التلميذ[2].

وأبو المحامد نجيب الدين محمد بن على بن عمر السمرقندى (ت٦١٩هـ/ ١٢٢٢م) من كبار علماء الطب والصيدلة، له مؤلفات كثيرة واهتم بالأدوية المركبة، ووضع فيها كتابه أصول تركيب الأدوية، وفيه بين أسباب وضرورات تركيب الأدوية وعدم تقديمها مفردة، ويستعرض مع الشرح صنوف الأدوية من أشربة ومعجونات وحبوب ومطبوخات وحقن وأضمدة وأطلية وغراغر ومربيات وأدوية للشعر، وهو يسوق لنا فى كتابه طرق التحضير وأوزان ونسب العقاقير والمواد المستخدمة فى التركيب، وأهم ما يلفت النظر فى هذا الكتاب هو عناية السمرقندى فيه بالتجربة والقياس على التجارب السابقة للوصول إلى الاستعمالات المأمونة[3]، ومن مؤلفاته أيضا كتاب إبدال الأدوية، وكتاب الإبدال من المعاجين والأقراص، والأدوية المفردة، وكتاب أدوية القلب وما يتعلق به، وكتاب الأدوية المفردة المستعملة وخواصها وأفعالها[4] وكتاب اقرباذين السمرقندى ويتألف هذا الكتاب من

---

(١) القلانسى السمرقندى: اقرباذين القلانسى، ص ٩.

(٢) القلانسى السمرقندى: المصدر نفسه، ص ١٠.

(٣) عبد الفتاح مصطفى غنيمة: ميادين الحضارة العربية الإسلامية وأثارها فى الحضارة الإنسانية، جـ ٢، ص١٨٩. محمد غريب جودة: عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية فى العلوم الطبيعية والطب، ص٣١٠، ٣١١.

(٤) عمر رضا كحالة: المستدرك على معجم المؤلفين، ص٧٠٨. كوركيس عواد: مصادر النباتات الطبية عند العرب، ص٩٢. صلاح الدين المنجد: مصادر جديدة عن تاريخ الطب عند العرب، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٥، جـ١، ١٩٥٩، ص٣٠٤ـ٣٠٦.

عشرين بابا، صنفت فيه الأدوية على ترتيب العلل[١]. ويعتبر هذا الاقرباذين نموذجا لكتب الوصفات الطبية المعروفة في الوقت الحاضر[٢].

علم الكيمياء

كان لعلماء مدن الصغد الفضل فى تطور علم الكيمياء من الأبحاث النظرية إلى التطبيقات العملية، حيث كان تطبيق علم الكيمياء فى الصيدلة من أهم الفوائد التى حققها هؤلاء العلماء[٣] فقد عرفوا أسرار المداواة بالعقاقير الطبية من نباتية وحيوانية ومعدنية. واكتشفوا عددا كبيرا من النباتات الطبية والعطرية واستخدموها كأدوية مفردة أو فى تركيب الأدوية المركبة، وظلت العقاقير الطبية أساس العلاج[٤] وادخلوا فى الطب استعمال السنا المكى والكافور والمسك وجوز الطيب والقرفة وغيرها، وهم الذين اخترعوا الأشربة والكحول والخلاصات العطرية[٥].

جمع القلانسى السمرقندى فى الأبواب الأربعة عشر الأولى من كتابه اقرباذين القلانسى كل ما قيل عن التقاط وادخار العقاقير النباتية وتحضير الأدوية المفردة المعدنية من غسل وإحراق وقلى وتكليس وشى، ثم أتبعها الكلام عن تحضير بعض الأدوية المهيأة كعمل الأدهان الطبية واستخراج الأدهان النباتية وغسلها، وطبخ السرطانات واستخراج عسل البلاذر ولبن الشبرم. ودخان الكندر، وتحضير ماء الجبن وتطرية العود، وإصلاح الدبق

---

(١) Martin Levey, Early Arabic Pharmacology, p35.

(٢) القلانسى السمرقندى: المصدر نفسه، ص٧.

(٣) عبد العزيز عبد الرحمن: تاريخ الطب والصيدلة والكيمياء، ص٢٦٨. ماهر عبد القادر محمد: دراسات وشخصيات فى تاريخ الطب العربى، ص٤٦٨.

(٤) محمد غريب جودة: عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية، ص٣٢.

(٥) شوكت الشطى: اللب فى الإسلام والطب، ص ٢٤١، ٢٤٢.

والذراريح وغيرها. إن مجموع هذه الأبحاث يعتبر النواة الرئيسية لعلم حديث ظهر فى أوربا فى نهاية عصر النهضة، وهو علم الكيمياء الصيدلية[١].

التأثيرات الفنية

أولاً: أثر الفنون الصغدية على العالم الإسلامى

لم يكن الفن الإسلامى فى الصغد فى أية فترة من تاريخه فنا راكدا أو جامدا أو منعزلا، بل كان دائم الاتصال بالفنون الأخرى فى الشرق والغرب مما أدى إلى تطوره، وبفضل العلاقات المختلفة التى قامت بين مدن إقليم الصغد والشرق الأقصى تبادل الفن الإسلامى التأثير مع فنون الشرق الأقصى بعامة وفنون الصين بخاصة[٢].

١ - أثر سمرقند فى ازدهار صناعة الورق:

أسهم الورق إسهاما كبيراً فى حفظ الحضارة وتطورها، فهو من أهم العوامل الداعمة لها، كما كان له أثره الواضح على اتساع دائرة التأليف والتصنيف، وأحد الوسائل المهمة فى نقل الأفكار والعلوم والمعرفة الإنسانية والعقائد الدينية[٣]. وكانت سمرقند أكبر مركز لصناعته[٤] ويحدثنا الثعالبى

---

(١) القلانسى السمرقندى: اقرباذين القلانسى، ص ١٠.

(٢) بدر الدين حى الصينى: العلاقات بين العرب والصين، ص١٢٣. حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، مج١، ص ١٠٢، ١٠٣.

Basil Gray , Persian Influence on Chinese Art from the Eighth to Fifteenth Centuries ,Iran ,Journal of the British Institute of Persian Studies ,vol.1 , p14. Shishkina , Ancient Samarkand, Capital of Soghad, Bulletin of the Asia Institute, vol,8, 1994, p93.

(٣) أحمد سعيد عبد الله: تاريخ التدوين ومواد الكتابة، ص١٤١.

(٤) أبو بكر الخوارزمى: رسائل أبى بكر الخوارزمى، ص١٧٥. القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٣٦. محمد حسن العبادى: خراسان فى العصر الغزنوى، ص١٣٧

"أن كواغيد سمرقند عطلت قراطيس مصر، والجلود التى كان الأوائل يكتبون فيها، لأنها أحسن وأنعم وأرفق وأوفق ولا تكون إلا بها وبالصين"(١).

وقد دخلت صناعة الورق سمرقند بتأثير صينى فيذكر معظم المؤرخين أن معرفة العرب بالورق الصينى كانت بعد أن امتدت فتوح المسلمين إلى بلاد ما وراء النهر حتى وصلت حدود الصين، مما جعل وجود الاحتكاكات والمنافسات ما بين الصينيين والحامية الإسلامية أمرًا طبيعيا، وكان من اثر ذلك أن ظفر المسلمون ببعض الأسرى الصينيين ممن خبروا صناعة الورق وعرفوا أسرارها، وكان هؤلاء الأسرى هم النواة التى كانت على أساسها صناعة الكاغد أو الورق الصينى فى سمرقند(٢).

بعد انتقال سر صناعة الورق إلى سمرقند من الصين(٣) ناله على أيدى العرب التغيير الهام الذى يعتبر حادثًا هامًا فى تاريخ العالم، فقام المسلمون بتنقيته مما كان يستعمل فى صناعته من ورق التوت ومن الغاب الهندى(٤)، وصنعوا الورق من القطن والخرق لتوفره وانتشاره(٥). وهنا يبرز دور الإبداع والابتكار فى العقلية العربية التى لم تنقل دون تجديد وإبداع بل أضافوا أسسا

---

(١) الثعالبى: ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب، ص٥٤٣. الغرناطى: تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، ص٣٩. عصام الدين عبد الرؤف الفقى: الحواضر الإسلامية، ص٢٤١

(٢) هالة شاكر عبد الرحمن: الورق والوراقون فى العصر العباسى، ص١٠٤.

Boyle, The Saljuq and Mongol Periods , the Cambridge History of Iran,p146

(٣) Gerrit Parmele , A History of Civilization, p116.Gavin Hambly,Central Asia p68..

(٤) آدم متز: الحضارة الإسلامية، جـ٢، ص٣٦٦.عبد الله بن العباس الجرارى: تقدم العرب فى العلوم والصناعات، ص٢١٣.

(٥) حسن جبر: أسس الحضارة العربية الإسلامية، ص١٩٤ سعيد عبد الفتاح عاشور: فضل العرب على الحضارة الأوربية، ص٧٦. محمد عادل عبد العزيز: الحضارة الإسلامية وعوامل الازدهار فى تداعيات الانهيار، ص٢٥٩.

جديدة فى صناعته أعطت للورق صفات متميزة[١]، وظلت سمرقند وقتا طويلا المدينة الهامة المنتجة للورق الجيد[٢]، وأصبحت منذ تركزت فيها صناعة الكاغد من المدن ذات الشأن الكبير فى أنحاء البلاد الإسلامية، وتستحق ما نعتها به الاصطخرى بأنها فرضة بلاد ما وراء النهر ومجمع التجارات[٣] خاصة أن ما اشتهرت به من الورق لا نظير له[٤].

وسرعان ما اتسعت دائرة إنتاج الكاغد وتصنيعه فلم يعد قاصرا فقط على سمرقند، بل تعددت مراكز تصنيعه وانتشرت فى أنحاء العالم الإسلامى[٥]. مما كان له عظيم الأثر فى التواصل الفكرى والتفاعل الثقافى بين العلماء خلال فترة البحث.

٢ - إسهامات علماء مدن الصغد فى علم الموسيقى

وتعد أبرز الإسهامات التى قدمها علماء الصغد فى علم الموسيقى تلك التى قدمها أبو حكيم بن الأحوص السغدى (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) حيث كان له مهارة تامة فى صناعة الموسيقى، وإليه يرجع الفضل فى اختراع آلة أشبه بالعود لكن على سطحها عشرة أوتار وهى آلة الشهرود، وكان ذا يد طولى

---

(١) أسامة النقشبندى: موسوعة الورق والكاغد، حضارة العراق، جـ٩، ص٤٤٣.

(٢) Annemarie Schimmel ,Calligraphy and Islamic Culture, p14. Vladimir Minorsky , The Turks Iran and the Caucasus in the Middle Ages, p282 .

(٣) الاصطخرى: المسالك والممالك، ص١٧٨

(٤) مرتضى راوندى: تاريخ اجتماعى ايران، بخش دوم، جلد هشتم، ص١٠٣

(٥) محمد حسنى عبد الوهاب: البردى والرق والكاغد فى افريقية التونسية، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٢، جـ١، ١٩٥٦، ص٤٥.

Parter , The Art of Book Making the Splendour of Iran Islamic Period,p14. Sedgwick and Tyler , A Short History of Science ,p196. Skhuda Bukhsh , the Arab Civilization , p77 .

فى الشعر[1]. وعبد الله الرودكى السمرقندى (ت٣٣١هـ/ ٩٤٢م) مضرب المثل فى الشعر والحظوة عند الملوك، نبغ فى الموسيقى وكان حسن الصوت يجيد التلحين واشتغل بالإطراب وتعلم العزف على البربط حتى قيل إن اسمه مشتق من "رود" بمعنى: وتر القيثارة، وكان يرتجل الشعر أثناء الغناء[2]. كما كانت فردوس المطربة السمرقندية من أشهر المطربين فى عصرها ذات ألحان ثمينة سمت أستاذها رشيد الدين الوطواط، اصطحبها السلطان محمد خوارزمشاه فى حربه التى قام بها ضد الغوريين . فأنشدت فردوس أحوال تلك الحرب التى تشيد فيها بشجاعة السلطان محمد وضعف خصمه[3].

ثانيًا: التأثيرات الفنية على الفنون الصغدية

١ - التأثير الصينى على الفنون فى الصغد:

اشتهرت سمرقند بصناعة مختلف أنواع الخزف وابتكر صناعها أساليب جديدة فى زخرفة الخزف، وكانت ابتكاراتهم على جانب كبير من التنوع، وقد تأثروا إلى حد كبير بالخزف الصينى[4]. ولعل التأثر الكبير بالخزف الصينى فى مدن الصغد يرجع إلى وقوع تلك المدن على طريق الحرير العظيم، وما ترتب عليه من وجود علاقات تجارية مع الصين، حيث أثبتت الدراسات الحديثة أن الصين كانت تورد الخزف الصينى إلى مدن الصغد وسائر البلاد

---

(١) أحمد أمين وزكى نجيب محمود: قصة الأدب فى العالم فى الأدب القديم وأدب العصور الوسطى، جـ١، ص٤٥١. إسعاد عبد الهادى قنديل: فنون الشعر الفارسى، ص٣٣. حسن مشحون: تاريخ موسيقى ايران، ص١٥٥.

(٢) براون: تاريخ الأدب فى إيران، ص٥٤. حسين مجيب المصرى: أثر الفرس فى حضارة الإسلام، مج١، ص١٧١. رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسى، ص٢٩، ٢٨،

(٣) اسفزارى: روضات الجنات فى أوصاف مدينة هرات، ص ٣٩٧، ٣٩٨. حمد الله المستوفى القزوينى: تاريخ كزيده، ص٥٩.

(٤) Mitsukuni Yashida, In Search of Persian Pottery,p124.

الإسلامية، ومن ثم كان من الطبيعى وجود الأوانى الصينية فى أماكن متفرقة فى سمرقند ومدن الصغد[١]. هكذا كان لطريق الحرير الفضل فى التواصل الفكرى والفنى بين مدن الصغد والصين ومن ثم انعكاس الفن الصينى على الفن السمرقندى[٢].

كما كان لإقامة بعض الصناع والفنانين من أهل الصين فى سمرقند وخاصة وسط المدينة أثر كبير فى ذلك، وقد جاء ما يؤيد ذلك فى يوميات راهب صينى سافر إلى بلاد ما وراء النهر وقضى فترة فى سمرقند وكتب عنها فقال: "أن الصناع الصينيين كانوا يعيشون هناك فى كل مكان"[٣].

٢ - التأثير الفارسى على المنسوجات فى مدن الصغد:

كانت أنوال النسيج فى سمرقند مشهورة فى سائر البلدان الإسلامية، فقد أنتجت هذه الأنوال المنسوجات المفضضة التى اشتهرت بها سمرقند وتدعى (سجمن)[٤]، كما اشتهرت أيضا بتصدير المنسوجات الحريرية والقطنية[٥]. وتأثرت صناعة النسيج فى مدن الصغد بتيارين مختلفين: الأول ما أفاده الصغديون على يد السلاجقة من الأساليب الصينية بفضل طريق

---

(١) Ludmila Sokolovskaia and Axelle Rougeulle, Stratified Finds of Chinese Porcelains from Pr- Mongol , Samarkand Afrasiab, p95. Edgar Knobloch , Monuments of Central Asia ,p40.

(٢) Edgar Knobloch , OP.cit ,p40.

(٣) Bretschneider, Medieval Researches from Eastern Asiatic Sources ,vol.1, p78.

(٤) رينيه غروسيه: جنكيزخان، ص٢٩١. سعاد ماهر: الفنون الإسلامية، ص٨٩. سعاد ماهر: النسيج الإسلامى، ص٩٣.

(٥) رينيه غروسيه: المرجع نفسه، ص٢٩١.

Serjeant, Islamic Textiles Material from A History up to the Mongol Conquest, ,p101

الحرير الذى يصل إلى سمرقند[١] والتى تتجلى فى دقة رسم النبات والطير والحيوان، والثانى ما ازدهر من أساليب إسلامية فى استخدام الفروع النباتية والأشرطة عوضا عن الموضوعات الزخرفية الساسانية[٢].

٣ - تأثير صناعة الزجاج المصرية على الصغد:

نجح فنانو الزجاج فى مدن الصغد فى العصر السلجوقى فى الوصول إلى ضرب من الزجاج الأبيض المضغوط يقلدون به البلور الصخرى الذى كان ينتج فى مصر[٣].

٤ - التأثير الخرسانى على العمارة فى الصغد:

قامت العمارة فى مدن الصغد على أسس عربية راسخة، وتكونت حول محاور إسلامية صحيحة مما يؤكد الترابط الفكرى بين بلدان العالم الإسلامى. ولعل بناء الأضرحة على شكل أبراج أسطوانية أو ذات أضلاع أو على شكل عمائر ذات قباب قد كثر انتشاره، ونشأ هذا الطراز فى خراسان وانتشر منها إلى مدن الصغد وسائر أنحاء الشرق الإسلامى[٤]. ومن أقدم الأضرحة فى سمرقند ضريح قثم بن العباس بن عبد المطلب بن عم النبى الذى شيد على

---

(١) بدر الدين حى الصينى: العلاقات بين العرب والصين، ص ١٢٣، ١٢٤.

Hans Bidder, Carpets from Eastern Turkestan, ,p9.Anne Wardwell, Important Asian Textiles Recently Acquired by the Cleveland Museum of Art, Oriental Art , vol.38, no4, 1992/1993,p247

(٢) زكى محمد حسن: الفنون الإيرانية، ص٢١٦.

(٣) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص٢٤٥. زكى محمد حسن: المرجع نفسه، ص٢٦٢.

(٤) اياد الصقر: الفنون الإسلامية، ١٩٥. توفيق أحمد عبد الجواد: تاريخ العمارة، جـ٢، ص٣٢٧. صادق نشأت ومصطفى حجازى: صفحات عن إيران، ص٢٧٧.

هذا الطراز، واجتمعت فيه تقاليد العمارة الإيرانية الراقية مما يتعلق بإنشاء القباب الواسعة[1] ولعب هذا الضريح دورا رئيسيا فى حياة مسلمى آسيا الوسطى، وكان محجا للمسلمين لعدة قرون[2].

تأثير الحضارة الإسلامية على الغرب الأوروبى

قامت الثقافة الإسلامية بدورها الطليعى خير قيام فى بناء النهضة العلمية العالمية، وقد نقل العلماء المسلمون التراث الاغريقى وغيره من ألوان التراث العلمى الذى تقدم عليهم فى التاريخ، نقلوه إلى اللغة العربية، التى كانت لغة علم وثقافة، فالحضارة الإسلامية أحيت الحضارات القديمة، وجددتها، وصححت الكثير مما ورد فيها من أخطاء ودس، وبذل المسلمون جهودا مضنية لتطويرها والخروج بها من الإطار النظرى إلى العملى والتطبيقى، فقدموا للحضارة البشرية أضعاف ما وصلهم، وليس بصحيح أن دور العرب كان لنقل التراث اليونانى إلى الغرب، فلم يكن العرب فى يوم جسرا لذلك، والمتتبع للحضارات القديمة يجد أنها لا تتعدى نقطة فى بحر الحضارة العربية الإسلامية. ولم يحدث قط أن حجب العرب حضارتهم عن شعب من الشعوب، كما يفعل الغرب اليوم، هذا جزء من أهداف الرسالة الإسلامية لتحقيق الخير والنفع العام والرحمة بالبشرية .

وأثر العلماء المسلمون فى النهضة الأوربية، وكان طابع الثقافة العربية الإسلامية غالبا وواضحا ومؤثرا فى عديد من المجالات العلمية والفكرية

---

(١) فيتالى نومكين: سمرقند، ص٢٧.

(٢) آثار الإسلام التاريخية فى الاتحاد السوفيتى، ص٦.

Nemtsseva Istoki Kompozitsii I Etapy Formirovaniya Ansamblya Shaki-Zinda the Origins and Architectural Development of the Shahi Zinda, Journal of Persian Studies, vol.10, 1977.p52-55

والثقافية، مثل ابتكار نظام الترقيم والصفر والنظام العشرى، ونظرية التطور قبل "داروين" بمئات السنين، والدورة الدموية الصغرى قبل "هارفى" بأربعة قرون، والجاذبية والعلاقة بين الثقل والسرعة والمسافة قبل نيوتن بقرون متطاولة، وقياس سرعة الضوء وتقدير زوايا الانعكاس والانكسار، وتقدير محيط الأرض، وتحديد أبعاد الأجرام السماوية، وابتكار الآلات الفلكية، واكتشاف أعالى البحار، ووضع أسس علم الكيمياء.

ويمكن القول إجمالا إن الثقافة الإسلامية كانت واسطة العقد بين العلوم والثقافات القديمة وبين النهضة الأوربية؛ فالفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية، سلسلة متصلة الحلقات، امتدت من الحضارات القديمة، إلى العصر الإسلامى الذى تأثر علماؤه بمن تقدمهم، وأثروا بدورهم فيمن لحقهم من علماء النهضة الأوربية الذين قرأوا أعمال العلماء العرب فى كتبهم المترجمة إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوربية.

لقد انتشرت الثقافة الإسلامية فى العالم الغربى، ونهل علماء أوربا من المصادر العربية الإسلامية الأصلية، ووجدوا أنها تراث علمى عظيم، فاشتغلوا بدراسته وتحليله. وكان المسلمون يمثلون العلم الحديث بكل معنى الكلمة، كانوا روادا فى المناهج العلمية الحديثة، وقد اكتسب المثقفون والعلماء فى أوروبا من الثقافة الإسلامية، أكثر من مجرد المعلومات، إنهم اكتسبوا العقلية العلمية ذاتها بكل طابعها التجريبى والاستقرائى، بحيث وجد الأوربيون فى التراث الإسلامى وفى الثقافة الإسلامية ضالتهم المنشودة، فعكفوا على نشره.

ففى مجال الطب قضى الإسلام على الكهانة والشعوذة وأمر بالتداوى فى حين كانت أوربا تحرم صناعة الطب لاعتقادهم أن المرض عقاب من الله لا ينبغى للإنسان أن يصرفه عمن يستحقه، وقد انتشر الطب الإسلامى وتطور بسرعة هائلة فكان هناك أطباء ذوو شهرة واسعة. واستفادت أوروبا كلها من ازدهار الطب الإسلامى عموما.

أما أثر المسلمين فى علم الرياضيات فيبدو واضحا سواء فى الحساب أو الهندسة أو الجبر أو حساب المثلثات والمعروف أن المسلمين بنوا معارفهم فى الرياضيات على أساس من علوم اليونانيين والنهود، ثم تقدموا بهذه العلوم وخطوا بها خطوات واسعة نحو الأمام حتى ظهر فى المشرق علماء مبرزون فى العلوم الرياضية مثل الخوارزمى والبتانى وأبو الوفاء البوزجانى والذين أضافوا إلى معلومات اليونان كثيرا من النظريات التى لم تعرفها أوروبا[1]. وقد ترجم العرب كتاب اقليدس فى الهندسة وهى الترجمة العربية التى نقلت إلى اللاتينية فى القرن (٦هـ/ ١٢م) والتى ظلت تدرس فى الجامعات الأوربية حتى القرن (١٣هـ/ ١٩م) .

ولكن إذا كان العرب اعتمدوا على معلومات اليونانيين فى أول أمرهم، إلا أنهم لم يلبثوا أن فاقوا أساتذتهم .فقد اهتم علماء المسلمين بالهندسة اهتماما كبيرا، والخطوة الأولى التى اتخذها علماء المسلمين هى ترجمة كتاب إقليدس فى علم الهندسة الذى يسمى بالعربية كتاب الأصول الهندسية أو الأركان الهندسية، وأعقبت فترة الترجمة والبداية فى القرن (٣هـ/ ٩م) مرحلة إبداع من القرن (٤-٩هـ/ ١٠-١٥م) جرى خلالها تدريجيا شرح الأعمال المترجمة ومناقشتها وتصويبها، فعلى الرغم من أن أساتذة أمثال إقليدس نال احتراما يبلغ حد التوقير والتبجيل، فأن العلماء فى سمرقند لم يتهيبوا أن يفندوا نتائجهم، بل ويصوبوها فى بعض الحالات. كذلك قدم هؤلاء العلماء إسهامات فذة فى مجال الهندسة النظرية[2]. وتنسب أعظم هذه الأعمال أهمية إلى شمس الدين أشرف الحسينى السمرقندى (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور: المدنية الإسلامية وأثرها فى الحضارة الأوربية، ص٩٦، ٩٧.

(٢) دونالد هيل: العلوم والهندسة فى الحضارة الإسلامية، ص٤٦.

من كبار رياضى ومهندسى بلاد ما وراء النهر، وهو صاحب كتاب أشكال التأسيس فى الهندسة[١].

أما عن الكيمياء فقد ارتقى المسلمون بهذا العلم، حتى قال لوبون: " أنه لولا ما وصل إليه العرب من نتائج واكتشافات لما استطاع لافوزيه ـ أبو الكيمياء الحديثة ـ أن ينتهى إلى اكتشافاته "[٢] فقد وصل المسلمون بعلم الكيمياء إلى درجة من الرقى مكنتهم من تطبيق النتائج التى وصلوا إليها على الصناعات المختلفة؛ وهو ما يعرف اليوم بالكيمياء الصناعية[٣].

وكان لعلماء مدن الصغد الفضل فى تطور علم الكيمياء من الأبحاث النظرية إلى التطبيقات العملية، حيث كان تطبيق علم الكيمياء فى الصيدلة من أهم الفوائد التى حققها هؤلاء العلماء[٤] حيث كانت أبحاث القلانسى السمرقندى تُعد النواة الرئيسية لعلم حديث ظهر فى أوربا فى نهاية عصر النهضة، وهو علم الكيمياء الصيدلية[٥].

أما فى مجال الأدب فقد تأثرت الآداب الأوربية تأثرا واضحا بموضوعات الأدب العربى ذلك أن القصص الإسلامى والأخيلة الشعرية قد تركت جميعا آثارها ببلاد الغرب فى القرون الوسطى وذلك عندما اتجه الأوربيون شطر الأدب العربى المعروف بالخصوبة والإبداع[٦]. وفى هذا

---

(١) ابن الجوزى: أعمار الأعيان، ص٢٠. إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، جـ٢، ص١٠٦. عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج٣، ص١٣٦. قدرى حافظ طوقان: تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك، ص٤٢٨.

(٢) لوبون: حضارة العرب، ص٥٠٣.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور: المدنية الإسلامية وأثرها فى الحضارة الاوربية، ص١٤٠.

(٤) عبد العزيز عبد الرحمن: تاريخ الطب والصيدلة والكيمياء، ص٢٦٨. ماهر عبد القادر محمد: دراسات وشخصيات فى تاريخ الطب العربى، ص٤٦٨.

(٥) القلانسى السمرقندى: اقرباذين القلانسى، ص ١٠.

(٦) سعيد عبد الفتاح عاشور: المدنية الإسلامية وأثرها فى الحضارة الأوربية، ص٧١.

الصدد يقول جب" أن خير ما أسدته الآداب الإسلامية لآداب أوربا أنها أثرت بثقافتها وفكرها العربى فى شعر العصور الوسطى ونثرها "[1] وقد اهتم الأوربيون بترجمة قصص الحكماء السبعة أو السندباد لبهاء الدين محمد بن على ابن محمد بن الحسن الظهيرى الكاتب السمرقندى (ت٥٥٦هـ/ ١١٦٠م)[2] ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التى مثلت صورة حية للأثر الثقافى لأدباء الصغد فى الثقافة الأوربية .

كان للفن الإسلامى تأثير واضح على الغرب الأوربى وفنونه، وبعد ان استقرت الحضارة الإسلامية وتشربت الحضارات الأخرى عبر الفتح والدخول فى الإسلام من قبل حضارات مختلفة بدأت المعانى والأفكار الإسلامية تنقل إلى هذه الحضارات وعلى رأسها الفن الإسلامى عبر التجارة الخارجية التى أضحت أهم وسائل الحضارة الإسلامية.

وشمل الفن الإسلامى الصناعة والزخرفة والعمارة، التى تجلت فيها مهارة المسلمين كصناعة النسيج والجلود والخزف والزجاج والورق . ولعل صناعة الورق تعد من أبرز الأمثلة لإعطائنا صورة واضحة عن مدى تأثير الحضارة الإسلامية على الغرب الأوربى فإذا كانت الطباعة أهم حدث عرفته الإنسانية فى تاريخها الثقافى فإن الوصول إلى هذا الاختراع كان متعذراً ومستحيًا بدون صناعة الورق، وقد انتقلت صناعة الورق من سمرقند إلى أوربا فى القرن الثانى عشر الميلادى، واستبدلوه محل الرقائق الجلدية الباهظة التكاليف، وهكذا أهدت سمرقند خدمة جليلة لأوربا وللحضارة الإنسانية، ومن الجدير بالذكر أن انتقال صناعة الورق إلى أوربا كان أحد أهم أسباب النهضة الحديثة بها[3].

---

(١) جب: تراث الإسلام، ص١٨٩، ١٩٠.

(٢) الراوندى: راحة الصدور، ص٢٩٤. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٩. ذبيح الله صفا: دور نمايى از فرهنك ايرانى، ص١٢٥.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع نفسه، ص١٨٥، ١٨٩

وخـلاصة القـول يطول بنا الأمر لـو حاولنا الكلام عن كل واحـد من علماء المسلمين الذين أسهموا بنصيب وافر فى بناء الحضارة الأوربية، ويحتاج الأمر لـذكرهم آلاف المجلدات ولكن نكتـفى بذكر هذا القـدر الضئـيل الذى اشرنا إليـه لنلقى شعاعا على الـدور الكبير الذى قام به هؤلاء العلمـاء. وقد أسهمـت مدن الصغد بنصـيب مباشر فى النهـضة الأوربية، ومهـما يكن من أمر، فمن الواضح الدور الفـعال الذى قام به علماء تلك المدن ويحـتاج الأمر لذكرهم العديد من المجلدات.

ولا بد من الإشارة هنا أن تأثير الحضارة الإسلامية على الغرب الأوربى كان تأثيرا عميقا فى شتى نواحى الحياة، ولكن مع الأسف كان النقل الأوربى للحضـارة العربية الإسـلامية نقـلا ناقصا، لأنهم نقلوا الجـانب العلمى المادى فقط، وتركوا الجانب الروحى الانسانى، وإذا اسـتمرت الحضارة الأوربية على هذا المنوال فإنها سـتقضى على نفسـها بنفسها لأنهـا غرقت فى المادية، بدليل فراغها الروحى. هكذا كـانت الحضارة العربية الإسلامية رحـمة للبشرية، ولن تكتمل هذه الرحمة إلا إذا اخذ العـالم بالجانب الروحى منها ليتم التوازن بين جناحى الحياة.

***

الخاتمة

لاشك أن العلم هو أهم الدعائم التى تبنى عليها حضارات الأمم، وقد جعلت مدن الصغد من العلم الركيزة الأولى لبناء أمجادها، ونالت من ذلك حظا وافرا لم تحظ به أمة من الأمم. حيث قامت مدن الصغد بدور رائد فى تطور الحياة الثقافية فى الدولة الإسلامية، حيث كانت سمرقند مركزا رئيسيا من مراكز الإشعاع الفكرى منذ نشأتها وظلت حتى الغزو المغولى منارا للعلم وموئلا للعلماء على اختلاف تخصصاتهم .وتوسع الإنتاج العلمى فى مدن هذا الإقليم وازدهر وأينعت ثماره رغم كل الانتكاسات المذهبية والاضطرابات السياسية. وقد توصل البحث إلى جملة نتائج ظهرت جلية واضحة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين .

ظهرت نهضة علمية واسعة شملت مدن الصغد خلال فترة البحث تمثلت فى عدة أوجه، أبرزها:

* تنافس الأمراء والحكام والكبراء ورجال العلم على بناء المدارس والأربطة والتى عمت مدن الصغد ولاسيما سمرقند. بجانب انتشار دور الكتب العامة والخاصة واتساع حركة النسخ والتدوين وازدياد عدد المؤلفات والمصنفات، علاوة على المكانة الاجتماعية المرموقة التى تمتع بها العلماء.

* لعبت المدارس فى مدن الصغد على اختلاف أنواعها دورًا هامًا فى تنمية الحركة الفكرية والعلمية فى البلدان الإسلامية، وساهمت فى إقامة الصرح العلمى الذى تميزت به الحضارة الإسلامية خلال فترة ازدهارها، ولا شك أن تراث المدرسة العلمى والأدبى يبدو واضحا وجليا فيما أنتجه مدرسوها من مصنفات قيمة أسدت إلى الثقافة خدمات جليلة أثرت بها مكتباتها. وقامت هذه المدارس بتخريج علماء أفاضل انتشروا فى العالم

الإسلامى وصاروا ينقلون ما تعلمـوه فى تلك المدارس، كما ارتقى العديد من خريجى تلك المدارس الوظائف السامية فى مختلف الأمصار الإسلامية.

* كمـا تعد المكتبـات بمحتوياتهـا الدعائم الأساسـية التى تشاد عليـها صروح العلم والثقافة والمعرفة والينابيع الفياضة التى تغذى تقدم الأمم العلمى والحـضارى بماء الحـياة والبـقـاء. وتمتع العلماء خـلال فـترة الدراسـة بسعـة إطلاعهم، وتشهد مؤلفاتهم ومصنفاتهم بالنهضة الثقافية التى تجلت آنذاك، وما عمـرت المكتـبات به من تلك المصنفـات فى جمـيع فروع العلم يـردد أصداء علمهم وفصاحتهم.

* ومن أهم الظواهر التى تميزت بها البـيئة العلمية فى مدن الـصغد أنها لم تكن فى عزلة عن البيئات العلمية فى العالم الإسلامى خلال فترة البحث، حيث وفد إلى سـمرقند طلاب العلم من شتى أنحاء العـالم الإسلامى لطلب العلم منها، كمـا غادرها عدد قليل من أبنائها إذا ما قـارناه بعدد الذين وفدوا إليهـا، وأن الذين درسوا على علمائها أكـثر من الذين درسوا فيـها، مما يدل على مكانة سمـرقند العلمية، وأنهـا كانت إحدى المراكز الثـقافية المهـمة فى العالم الإسلامى خـلال فترة الدراسة، وأنه ظهـر فيها عدد من كـبار العلماء كانوا من ذوى المنزلة العلمية الكبيرة والشهرة الواسعة، فقصدها عدد كبير من العلماء والقراء والمحدثين والفقهـاء وطلاب العلم، وتلقوا العلم فى مساجدها ومدارسـها، وسمعـوا علماءها وقرأوا عليهـم مختلف فنون المعرفـة وحصلوا على إجازتهم.

* إن العلوم التى جـذبت طلاب العلم إلى مـدن الصـغـد هى العلوم الأساسية وذلك لأن هذه العلوم كانت قد نالـت اهتمام العلماء فى هذه الفترة من جهة، ولتقدم هذه العلوم بسمـرقند من جهة أخرى. ومن ثم كان للعلوم الأساسيـة فى مدن إقليم الصغد فى العـصر السلجوقى، من قراءات وتفـسير وحديث وفقه وأصول فقه أثر بالغ فى إكساب الحضارة الإسلامية طابعًا جديدا

أساسه الرغبة المتقدمة فى الحصول على فهم أعمق للعالم كما خلقه الله. أضف إلى ذلك أن علم الكلام وعلم أصول الفقه قد مهدت للأسس العلمية فى الفكر الإسلامى أن تبرز ملامحها، ذلك أن هذه العلوم تعتمد على تحرى الدقة المتناهية والنزاهة التامة والعمق الشديد فى البحث للوصول إلى جذور الحق والمعرفة.

* فضلا عن ذلك ظهر عدد من كبار الفقهاء فى مدن إقليم الصغد فى العصر السلجوقى وكانت الغالبية العظمى منهم من أتباع المذهب الحنفى، ولعل ذلك لأن الكتب التى يعولون عليها هى كتب محمد بن حسن الشيبانى(ت١٨٩هـ/ ٨٠٤م) ومن هذه الكتب، المبسوط، والجامع الكبير، والجامع الصغير، وكان أغلبها خاليا من التعليل. ومن ثم كان لبعض هؤلاء الفقهاء أبحاث رائعة، ودراسات جليلة فى هذا الشأن. كما أشارت المصادر إلى وجود عدد كبير من أتباع المذهب الشافعى لكنه لم يصل إلى المذهب الحنفى. وهكذا صار المذهبان الحنفى والشافعى جنبا إلى جنب فى إقليم الصغد فى فترة الدراسة، فى حين أننا لم نجد أية إشارة إلى وجود فقهاء من مذاهب أخرى، وكثرت مصنفات ومؤلفات المذهبين سابقى الذكر ولا شك أنها كانت تمثل ثروة ثقافية لها شأنها فى بناء الفكر الإسلامى.

* وفى المقابل تقهقرت الفلسفة وكسدت سوقها فى مدن إقليم الصغد خلال القرنين (٦، ٥هـ/ ١٢، ١١م) وذلك لأسباب متعددة منها موقف الفقهاء من دراسة العلوم الإنسانية والتطبيقية بالإضافة إلى موقف الحكام من ذلك، فقد قوبلت الفلسفة وهى على هذه رأس العلوم بتعصب ومقاومة شديدين؛ فكل ألوان البحث والاستدلال واللجوء للعقل لحل المعضلات الدينية يعد فى نظر علماء السنة جسارة كبيرة خارجة عن حد المألوف، بل أكثر من ذلك إلصاق تهمة الكفر والزندقة بالفلاسفة. لهذا ضاع رونق الفلسفة وقل رواجها، وظهر هذا الاتجاه جليا فى أهداف التعليم عندما حظر تعلم العلوم

الفلسفية فى مدارس مدن إقليم الصغد وسائر بلاد ما وراء النهر وبقية الممالك الإسلامية. واقتصرت الدراسة على العلوم الدينية و اللغوية. وكان ذلك لأن العلم الموروث عن النبى عليه الصلاة والسلام هو وحده فى نظر أئمة الدين والفقهاء العلم النافع، فقد اعتبروا علوم الأوائل علوما مهجورة تنتهى بالكفر والتعطيل، وكان متكلمو السنة والشيعة على السواء يعادون الفلاسفة والحكماء، ويعتبرونهم أعداء للدين منكرين لوحدانية الله.

* وإذا نظرنا إلى الأوضاع العلمية بصفة عامة لفترة البحث لوجدنا أن مدن الصغد لم تعرف التخصص وتعترف به، بل نجد الأديب كان ـ على حد قول ابن خلدون ـ يأخذ من كل شئ بطرف، فيكون شاعرا وفقيها وطبيبا ومؤرخا وجغرافيا فى وقت واحد، ويؤلف تبعا لهذا فى كل علم من هذه العلوم، وقد يشتمل كتاب واحد من كتبه على شئ من هذا العلم وشئ من ذاك.

* وبقى أن نقول كلمة عن الفنون فى مدن الصغد، وهى التى كانت تحتل الصدارة فى جميع البلاد الإسلامية، بل إنها اكتسبت شهرة عالمية. وخلفت لنا سمرقند على مر العصور الإسلامية ولا سيما خلال فترة البحث مجموعات ضخمة من الفنون من صور وتحف وسجاد وخزف ومنسوجات هذا إلى جانب فن المعمار الذى يتجلى فى المساجد والمدارس والأبنية الإسلامية الأخرى، وهذه كانت تمتاز بزخارفها الجميلة، وبما فيها من نجارة وقيشانى، كما كانت تزين بالجص المحفور أو الطوب المنضود. هكذا حفلت سمرقند بالعلماء الأجلاء فى العلوم والآداب والفنون. وظلت منار إشعاع فكرى وحضارى حتى الغزو المغولى.